روايات
ALHAN
ألحان

زواج واحد يكفي

١٥٨

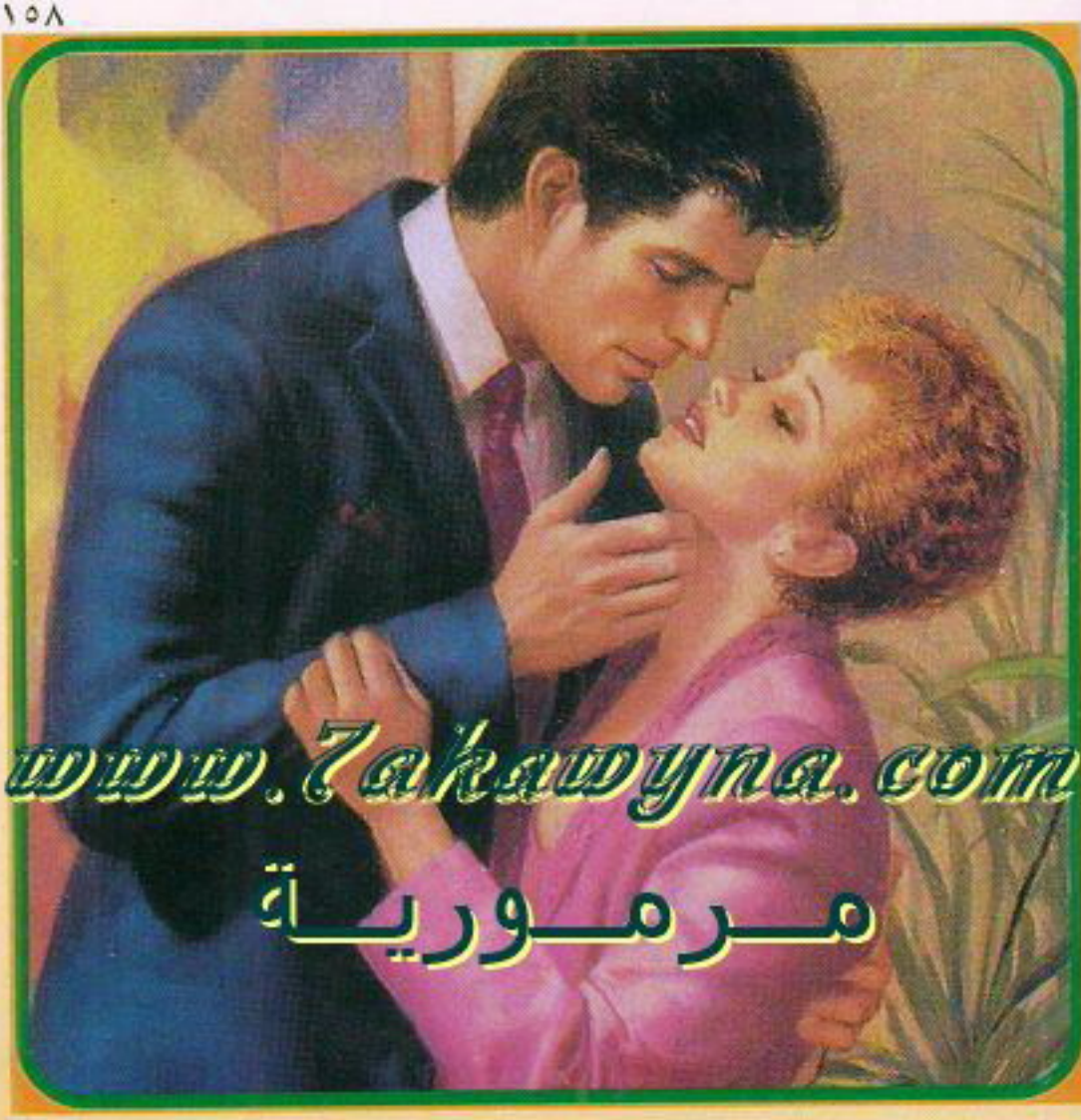

www.7akawyna.com

مرمورية

ثمن النسخة					
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١،٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5$	U.K	1.5
France	15F.F	Greece	1200Drs.
CYPRUS	1.5 P.		

جلست " بيرما " على مقعد دراجة بثلاث عجلات ، وقالت لـ"جاك " :

- هيا أخبرني ! أنا مستعدة .

- حسناً ... ها أنذا ... نحن سنتزوج ونشتري بعض الكلاب ، ثم ننجب أطفالاً .. مائة منهم .

قفزت الشابة من فوق الدراجة وصاحت :

- انت مجنون !

- حسناً .. ليس مائة وسنناقش الأمر .

في الحقيقة يكفينا واحد أو اثنان .

- لا .. لن يحدث . ولو على جثتي ! إني لا أريد أن اتزوج أبداً .

مرة واحدة تكفي . وحتى لو رغبت في الزواج ثانية فلن يكون بك .

كانت تكذب . سألها وهو يتظاهر بانه أهين :

- ولم لا .. ؟ ما الذي يعيبني لهذه الدرجة ؟!

الغلاف الأمامي

تمتلك "بيرما" حانوتا لصنع "البيتزا"، وتقوم بتسليم طلبات المنازل بنفسها بسيارتها الجيب القديمة، ويعاونها ثلاث نساء عجائز تبنتهن بعد هدم الملجأ الذي كان يأويهن. في يوم ما ذهبت لتسليم آخر طلبية لمنزل منعزل في منطقة موحشة بها غابات وتلال. لم تجد صاحب المنزل، وأثناء عودتها - وهي تلعن حظها السيئ الذي يلازمها من فترة طويلة - تسمع مواء هريرة فوق الشجرة الغربية من المنزل. وحيث إنها ضعيفة أمام أنين الصغار، فقد وضعت علبة "البيتزا" الكرتونية أسفل الشجرة، وصعدتها لكي تنقذ القطة. يعود صاحب المنزل أثناء تسلقها، ويصعد إلى الدور الثاني ثم يأخذ في خلع ملابسه أمام الشابة المعلقة على فرع الشجرة، فتسقط من فوقه على علبة البيتزا التي أنقذتها من الإصابة البالغة- وإن كانت قد أتلفت ملابسها، ولسوء الحظ- عندما تفيق تجد أمامها صاحب المنزل.

وتتوالى أحداث سوء الحظ، إذ تتدحرج سيارتها لتسقط محطمة في قاع الوادي، ثم تحترق شقتها، وفي كل هذه الأحداث والكوارث يكون "چاك" بجوارها لينقذها.

شخصيات الرواية

"بيرما كودسن": شابة مكافحة تمتلك محل "بيتزا" بحي شعبي وتدرس في الجامعة.

"چاك سوبر": مدرس شاب، ومخترع يعيش في بحبوحة في منزل فاخر بالضواحي، وله سيارة فاخرة.

"اليكساندرا"-"جيسي"-"إيلينا": ثلاث نساء عجائز تبنتهن "بيرما" بعد تحويل الملجأ إلى مساكن.

"ميشا شمكن": رجل عجوز صديق "جيسي".

"كليم فورست": رجل عجوز صديق "إيلينا".

www.zahrawyia.com

الفصل الأول

أبطأت "بيرما كودسن" من سرعة سيارتها الجيب القديمة، وتوقفت بجوار الرصيف . شدت "فرملة" اليد وهي تفحص صندوق الخطابات الوحيد الموجود في الممر، بحثا عن اسم او رقم، ولكن دون جدوى. أخذت تفحص الاسم المكتوب على علبة "البيتزا" الكبيرة التي كانت موضوعة على المقعد المجاور لها وقرات العنوان المكتوب عليها. و هو ٥٠٧٧ حارة "الينبرج" . لا يمكن أن يكون إلا هذا المكان . على اية حال هذا هو المنزل الوحيد في نطاق خمسمائة متر حوله . وضعت "بيرما" جبينها على عجلة القيادة وهي تزمجر . هذه اخر طلبية تسليم منازل في هذا اليوم، ولابد أن تواجه بمشكلة .. على العموم هذا ما يبدو عليه الحال !

كان القمر الفضي يلمع بصورة متقطعة خلف السحاب السريع، ويلقي باشعة فضية على قمة المنزل المبني على الطراز "الفيكتوري" .

وكانت شجرة البلوط الضخمة تقف حارسة تحت سقف شرفة المنزل، حيث ذكرت فروعها "بيرما" بحكايات سوداء.

قالت في نفسها : "إن "چاك" السفاح يمكن أن يشعر باطمئنان وسط هذا الديكور المخيف ."

لايوجد اي ضوء، ولا اي سيارة واقفة أمام المنزل . أبعدت بيد عصبية خصلات شعرها الشقراء عن جبينها . أخذت تقول لنفسها: " إنها ساذجة . كيف تسمح لنفسها بالذهاب إلى هذه الأماكن المشبوهة؟"

في الحقيقة، كان الوضع أبسط مما تتصور:

لابد أن السيد "بيتزا حجم كبير" - وهو الاسم الذي اطلقته على صاحب العنوان - موجود في مكان ما، يشتري زجاجات شراب منعش كما يحدث لها دون انقطاع . لم يكن أمام الشابة سوى أن تدير مفتاح "الكونتاكت" وتدور نصف دورة وتعود لبيتها فجاة ارتجفت "بيرما" وقد انتبهت لصوت حاد وضعيف، جعل شعر راسها يقف. لقد صدر من مكان ما . أغلقت "بيرما" عينيها. ثم أطلقت زفرة ارتياح عندما صدر الصوت مرة أخرى. لم يكن سوى مواء هريرة ضعيفة وخائفة . كانت الهريرة ماتزال تعوي شاكية حالها. وأدركت "بيرما" أن عودتها إلى المنزل ستتاخر.

دائما يحدث لها نفس الشيء . إنها لاتستطيع أن تمنع نفسها. فما إن يعبر كلب ضال الشارع أمامها، أو يسقط عصفور من عشه عند قدميها - إلا وتكون "بيرما" هناك لمساعدته ! أمسكت "البيتزا" على كفها، وعبرت النجيل، وأخذت تسري عن نفسها عندما شاهدت البيت الذي كان يبدو عليه أنيقا عندما اقتربت منه. كان طلاء الواجهة الأمامية حديثا، ولم تكن هناك ستائر على النوافذ، ولكن زجاجها كان نظيفا، والداخل معتنى به. أخذت "بيرما" تنادي الهريرة الصغيرة التي كانت

ترد عليها بمواء يقطع نياط القلوب.

رفعت رأسها لأعلى. وعضت على شفتها السفلى .

أعلى شجرة البلوط كانت الهريرة تحرك ذيلها في رشاقة وهي تنظر إلى "بيرما" تتجه نحوها .

انتفش فراء الحيوان من تأثير هبة ريح قوية جعلتها تتعلق بأفرع الشجرة بعد أن أطاحت بها. حبست "بيرما" أنفاسها حتى استعادت الهريرة توازنها . وضعت علبة "البيتزا" البيضاء على الأرض، واستعدت لتسلق الشجرة وهي تلوم نفسها على هذه الأعمال الصبيانية التي كفت عنها منذ أسبوع . وجهت الكلام للهريرة.

- لا تتحركي..

قفزت "بيرما" وأمسكت بفرع من الشجرة، ثم رفعت نفسها بسرعة مثل صبي متشرد وأثناء تقدمها وقفت لحظة على أحد الأفرع ، والهريرة تراقبها وهي ترمش بعينيها ابتسمت لها، وأخذت نفسا عميقا وألقت برأسها للخلف نحو النجوم . كم هو جميل العالم وهي تراه في هذا الوضع فوق الشجرة ! هب نسيم خفيف بين الأفرع، وسقطت خصلات شعرها على جبينها. لقد اكتشفت منظر الطبيعة الجميلة من زاوية غير متوقعة: منظر المعبر الصغير عند نهاية الوادي ووراءه ظهرت أنوار المدينة . تاملت "بيرما" المنظر فترة في صمت وهي مبهورة.

رأت من مكانها أضواء كشافات سيارة عبرت النهر وصعدت الطريق وهي تتجه نحو المنزل . وبعد ثوان انتزع الشابة من أحلامها صوت هدير محرك السيارة. إنه صوت فاخر يبرز وسط سكون الليل.

قالت في نفسها : ياإلهي ! أدركت الموقف. إن السيد "بيتزا" عاد إلى البيت، وهي معلقة فوق شجرته المفضلة.

وقفت السيارة في مواجهة الجراج . كانت سيارة مكشوفة فاخرة ماركة "كاديلاك". لون غطاء سقفها أسود، والإطارات ذوات أغطية لامعة. أما جسم السيارة فكان بلون البيج . إنها سيارة معتنى بها، ولابد أنها من مجموعة السيارات ذوات الطراز القديم والتي تخضع لصيانة دقيقة للحفاظ عليها .

انفتح باب الجراج "أوتوماتيكيا"، واختفت السيارة داخل الجراج كالريح. بعدها انغلق الباب من تلقاء نفسه تاركا "بيرما" والهريرة في ظلام دامس . أطلقت الشابة صفارة وهي تصارح الهريرة:

-شيء مؤثر .. ياللخسارة..! إن من يركب مثل هذه السيارة لابد أن يكون زعيم عصابة.

تصورت رجلا عملاقا يرتدي قبعة "بنما" ذات الحافات العريضة وابتسمت أمام تلك الصورة . كانت علبة "البيتزا" الكرتونية أسفل الشجرة، والزعيم لابد أنه جائع . أخذت "كرة الفرو" تحت ذراعها ونظرت لأسفل .. لقد كانت على ارتفاع أكبر مما كانت تظن! وجهت الحديث للهريرة:

-لاتفزعي. فكل شيء سيكون على ما يرام.

في هذه اللحظة أضيئت إحدى الحجرات .لابد أنها حجرة الزعيم . لقد كانت "بيرما" تحتل في مكانها موقعا استراتيجيا يساوي مقعد "لوج" في المسرح. غير أن المسرح هنا هو حجرة الزعيم لتعجب بذلك الشخص الذي أعطته هذا اللقب ..إنه رجل رائع. طوله أكثر من مائة وثمانين سنتيمترا. عريض الكتفين، نحيف الوسط وشعره أسود مجعد، ألقى بكتاب على السرير، وبدأ في خلع قميصه. مدت "بيرما" رقبتها نحو النافذة خلع الرجل قميصه ووضعه فوق ظهر مقعد . أغمضت "بيرما" عينيها لحظات وابتلعت ريقها وقالت في نفسها: "من المؤكد أنه ليس

أحدب الظهر.

- يا إلهي ! إنه سيخلع بنطلونه !

أحست بالحمرة تصعد إلى خديها، وسرت رعشة في جسدها من رأسها لأخمصي قدميها . كان عليها أن تقرر القفز وهي تحاول أن تجد ما تمسك به في هبوطها من فوق الشجرة . حاولت الانتظار بعد ذلك إلى النافذة . إن ذلك الرجل يمكن أن يلقي على رأسها كل خبطات القدر المؤلمة. أحست بذلك من اضطراب جسدها- فقط- عندما خلع قميصه وهي لاتعرفه.

ولكن لدى ذلك المجهول ما هو أكثر من الجمال الجسدي . فهناك أيضا شيء لايمكن تحديده كعلامة تدل على الشخصية الإيجابية تتناقض مع المكر الواضح في عينيه السوداوين اللتين أذهلتا "بيرما".

لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر مرة ثانية نحو النافذة .. نسيت وضعها، وغطت وجهها بكفيها، ثم فقدت اتزانها وسقطت كالجوال تحت الشجرة وهي تطلق صيحة كبيرة.

ظلت "بيرما" وقتا طويلا ممددة على ظهرها، وهي عاجزة عن الحركة. كانت ترى نقطا سوداء تتراقص أمام عينيها في السماء التي تحولت في نظرها إلى اللون الأحمر إلى أن بدأت تميز بصعوبة صورة وجه رجل بدا القلق في عينيه الواسعتين وقد انحنى فوقها يتأملها باهتمام. سألت :

- هل أنا ميتة؟

- لا.. لم تموتي بعد .

- إنني أحس أنني ميتة . إن ظهري ساخن جدا ، وملتصق بملابسي.. إنني أنزف.

ألقى الرجل نظرة أسفل كتف "بيرما"، ثم عاد للنظر في عينيها .

وقال:

- إنني لاأرى دماً، وإنما- فقط - صلصة طماطم حمراء أفلتت من علبة كرتون.

ساعدها على النهوض، ثم رفع طرف غطاء العلبة وصاح في اشمئزاز:

- إنها "بيتزاي"!

هزت "بيرما" رأسها في شرود وقد أحست بالارتياح عندما رأته مرتديا "جينز" و"تي شيرت" .

- لقد سمعتك وأنت تتكسرين، وخرجت لأرى إن كان هناك أحياء . وقد سعدت عندما كانت الإجابة على تساؤلي بنعم.

ثم نظر إلى كرتونة "البيتزا" المهروسة في اشمئزاز.

- ما الذي حدث لك؟

ألقى الكرتونة واقترب من "بيرما" .. التقط قطعة من قشرة "البيتزا" من شعرها الأشقر القصير . كانت الشابة ملتزمة الصمت طوال الوقت . تأمل الغصن الذي أمسكت به في راحة يدها.

- هل كنت فوق هذه الشجرة؟

سكت لحظات ثم نظر إليها مرة ثانية.

- هذا مستحيل ! هل صعدت فوق هذه الشجرة حتى تشاهديني وأنا أخلع ملابسي . ألم يسبق لك أن رأيت رجلا في هذا الوضع؟

احمرت بشرة "بيرما" حتى جذور شعرها وأجابت بسرعة:

- بل رأيت الكثيرين.

- حقا ؟

دلت تقطيبة وجهه على اهتمامه الشديد .

حاولت "بيرما" أن تفرد جسمها وتنظف بنطلونها، ثم طوحت

بذراعيها في الهواء تعبيرا عن غضبها الشديد من هذا الوضع .
صاحت في ثورة:

- في تلك اللحظة كان لدي شيء اهم من تسلق الشجرة لاشاهد رجلا يخلع ملابسه .. إن لدي عملي الخاص . انا اصنع "البيتزا"، ولدي ثلاث نساء عجائز ينتظرنني في البيت و... على اية حال انت مخطئ على طول الخط.. لقد كنت احاول إنقاذ قط.

نظرا إلى اعلى الشجرة .. لم يجدا اي قط .

قالت وهي تشير إلى الاغصان بإصبعها:

- لقد كان هناك قط .

- آه .. حسنا ؟!

هذا العملاق الرهيب لايصدقها ! حدجته بنظرة احتقار وجمعت الكرتونة المحطمة ومدتها له .

- هذه "بيتزاك" ! اثنا عشر دولارا وخمسة وتسعون سنتا. ضغط المجهول على فكه في وحشية وقد احمر وجه "بيرما" مرة ثانية لإحساسها بانها تمادت في تصرفها .

قالت :

- حسنا .. هذه المرة مجانا .

أخذ منها الكرتونة ونظر إلى "بيرما" المحبطة . اما هي فلم تستطع ان ترفع عينيها عن وجهه الذي بدا يسترخي. لقد كان اجمل وجه رجل رأته في حياتها.

سألته :

- حسنا .. هل ستعضني؟

- آه .. لا..

كانت تجاعيد خفيفة تزين ما حول عينيه وقال:

- هل تنظرين إلى فمي؟

تلعثمت:

- إنه فم جميل جدا.

لم تعرف "بيرما" ماذا تفعل مدة ثوان، حيث كان يفحصها من اعلى راسها لأخمصي قدميها وببطء .

- وهذه الجيب المستهلكة ملكك؟

- كيف تقول مستهلكة ؟ إنها في حالة ممتازة.

وكان السيارة تعمدت ان تثبت وجودها. فقد سمع صوت ضجة، وبدأت السيارة تتراجع من نفسها نحو الساحل . كانت الشابة مذهولة لدرجة انها ظلت فترة مشلولة في مكانها، قبل ان تاخذ في الجري نحو سيارتها . عبرت النجيل وهي تصيح:

- سيارتي !

جرت "بيرما" باسرع ما في إمكانها، واقتربت شيئا فشيئا من سيارتها، بشرط الا تزيد السيارة من سرعتها . استجمعت كل قوتها حتى استطاعت ان تلمس اكرة الباب . ولكن الشابة احست بانها ممسوكة من الخلف واخذت تصيح:

- دعني .. إنك على الاقل تزن مائة كيلو جرام .

رفعت راسها لترى سيارتها الجيب تختفي بين علامتي طريق بيضاوين تشيران إلى اول منحنى في الطريق الصغير المتعرج . ثم ساد الصمت. بعد ذلك سمع صوت سقوط شيء . لقد استقرت السيارة على مسافة ثلاثين مترا اسفل الوادي.

-لست ازن مائة كيلو جرام دائما تسعين فقط وكلها عضلات.

كانت "بيرما" تعرف ذلك. من ناحية: لأنها استطاعت أن تشاهد ذلك وهي فوق الشجرة من وقت قريب، ومن ناحية اخرى: فإنها في تلك

اللحظة كانت قد استطاعت أن تدير نفسها لتواجه الرجل الذي كان يمسكها بقوة . نظرت إليه، وتعجبت لمدى الانجذاب الذي بدا في عينيه نحوها. وتعجبت أكثر لأنها استجابت لذلك الانجذاب، رغم أنهما غريبان ولايعرف كل منهما اسم الآخر.

ابتعد الزعيم عنها، وعندما فتحت عينيها رات في نظرات الغريب نوعا من الوحشية وحب التملك. إنها توشك أن تصاب بالجنون . لقد أتت لتسليم "البيتزا"، وهاهي تجد نفسها أسيرة . تحول جنونها إلى غضب شديد لامعنى له ضده، وضد نفسها، وضد تلك الهريرة البلهاء، ومغامراتها الانتحارية. ابتعد عنها أكثر، ثم نظر إليها بإمعان وقال :

- هل أنت غاضبة؟

كانت قد سقطت على الأرض عندما جذبها بشدة حتى لاتتبع مصير سيارتها . وعندما نهضت أحست بأن ساقيها مرتختيان وكأنهما صنعتا من القطن . أخذت تصرخ:

- سيارتي .. إنها سيارتي وأنا محتاجة إليها لتسليم "البيتزا"، ولأجل ... ثم ليس من حقك أن تقفز علي هكذا .

- أنت مجنونة ! كان من الممكن أن تكوني في هذه اللحظة ميتة.

- وماذا بعد؟ ! الآن سأموت من الجوع، والعذاب أيضا.

تقدمت "بيرما" من حافة الأخدود، لترى الحالة التي آلت إليها سيارتها المسكينة . فكرت في نفسها: إنه سوء الحظ الذي يلازمها.

لقد اشترت السيارة الجيب من سنتين، يوم طلاقها. إنها سيارة جيدة، لم تسبب لها في يوم من الأيام أية متاعب . طبعا تحتاج إلى تغيير زيت المحرك مرة كل أسبوع، والصدأ الذي يعلو جسدها يعطيها مظهر التمويه والإخفاء، ولكن ليس كل الناس لديهم إمكان امتلاك سيارة فاخرة مثل هذا السيد الذي يعرف كل شيء، والواقف الآن

بجوارها . وفي أسفل الأخدود ترقد السيارة الجيب على ظهرها، وقد تشوهت تماما من الصدمة . زفرت الشابة في أسى :

- إنها ماتت.

- هذا ما يبدو عليه حالها فعلا.

اضطرت إلى أن تستتر تحت قناع عزة النفس، فرفعت ذقنها إلى السماء في كبرياء.

- حسنا . وأسفاه!

ماذا يمكنها أن تقول ومستقبلها راقد في قاع الأخدود . عندما يمسك الخراب بتلابيب المرء، فإن البؤس يمد له يده . قالت في نفسها : إنها على أية حال لن تبكي ".. لامجال للتفكير في البكاء. أخذ الغريب يفحص وجهها على ضوء القمر.

- إنك لن تبكي .. أليس كذلك؟

- نعم لن أبكي .

لمعت دمعة كبيرة في ركن عينها، وبدأت تنساب على خدها . أمسك الرجل بكتفيها، ومسح الدمعة بإصبعه في حنان .

- هيا! إن الأمر ليس بهذا السوء، وشركة التامين ستدفع لك التعويض!

حاولت "بيرما" أن تحبس بقية الدموع، ولكن الانفعال كان أقوى من إرادتها . إنها تريد أن تبكي على ذلك الشيء القديم الصدئ والمستهلك، ولكن- على أية حال- إنها سيارتها . ثم إن عليها أن تبيع- على الأقل- خمسة آلاف فطيرة "بيتزا" حتى تتمكن من شراء واحدة أخرى . سألها :

- لاتقولي لي: إنك لم تؤمني على السيارة؟

- لا .. لا . لم أؤمن على هذا النوع من المخاطر .

تمالكت نفسها ومسحت بقوة دموعها بظهر كفيها الاثنتين: ثم قالت:

- حسنا .. لاباس .. إلى اللقاء!

بدأت تهبط الهضبة، وكان يسير بجوارها :

- أين ستذهبين ؟

- ساعود إلى بيتي.

قالت في نفسها : " إنها تعودت على السير مثل هذه المسافة، وأطول، وإنها تستطيع أن تستفيد بهذه التمشية للتغلب على ذلك الإحساس الذي يغمر جسدها وهي ترى ذلك المجهول بجسده الرياضي الفارع .

-انتظري قليلا . وساقوم بتوصيلك.

-شكرا. ولكن لاداعي للإزعاج، فإنني قد اعرض مقاعد سيارتك الجميلة للاتساخ.

- إنها من الجلد، ويمكن غسلها . انتظريني .

- حقا .. لاداعي لـ...

رفعها الرجل من فوق الأرض، وأجبرها على الجلوس على حافة الطريق، وقال:

- إنك ستنتظرينني هنا!

قالت:

- أنت .. هل أنت تامر الناس دائما هكذا؟

- اطمئني. لست أول واحدة تقول لي ذلك.

راقبته وهو يبتعد في خطوات بطيئة وهي تتساءل: من ياترى تلك التي قالت له ذلك؟

زوجته، أو ربما هذه الأخرى صديقته! انطوت "بيرما" على نفسها في مكانها على جانب الطريق . ظلت تفكر في السؤال إلى أن وقفت

"الكاديلاك" أمامها في سكون تام، ولم تسمع صوت المحرك. خلعت سترتها، ووضعتها بعناية على أرضية المقعد المجاور لمقعد السائق . والناحية المطرزة بالطماطم والأنشوجة، وعيش الغراب إلى أعلى . قالت وهي تجلس على المقعد:

- هذا عمل رقيق من جانبك.

ابتسم لها ومد لها يده.

صافحت اليد وهي ترتجف. قال لها :

- أنا "چاك سوبر". في خدمتك.

- أنا "بيرما كودسن".

-"بيرما"! مثل "بيرما" بطلة الكاتب الشهير "مارسيل بروست"؟!

- لا.. إنه اسم شهرة "اسكندنافي".. إن أمي كانت دائما فخورا بـ.. بأسلافها "النرويجيين".

سارعت بسحب يدها ودستها بين ركبتيها لتشعر بالأمان أكثر. إن "چاك" هذا يشعرها بأنها مراهقة، ساذجة .لابد أن تعثر على صديق أكثر حيادية، فسألته:

- من يكون ذلك الشخص الذي يلومك على تسلطك؟

احمر وجهها مرة ثانية . لقد أفسدت الأمر؟ وقد دهشت من طيشها . كما أن "چاك" بدا متضايقا بعض الشيء . استأنفت الحديث:

- أرجو أن تعذرني. إنني لست سوى حمقاء وفضولية..

- إنك تذكرينني باطفالي . إنهم لايشعرون بالذنب وهم يوجهون لي سيلا من الأسئلة، مهما كانت التبعات - أطفاله؟! وطبعا زوجته ؟ وهي التي ظنت- أوتصورت- أنه سيغازلها! إن "بيرما" ستعود إلى بيتها، وتنسى ذلك الرجل للأبد .

-أطفالك ؟! كم عددهم؟

www.zakwyne.com

-عشرون . لقد قالوا لي نفس ما قلته في الصباح. إنهم يعتبرونني أصدر إليهم الأوامر .

- عشرون؟!

- أنا معلم . ولست متزوجا: ردا على السؤال الذي يتردد على لسانك.

اجتاحت "بيرما" رغبة في الضحك والغناء . لا. ليس لأنه يهمها. على الإطلاق . إن أمامها أموراً أخرى لابد أن تقوم بها، ولكن على أية حال جاءت إجابته بمثابة تسرية عنها .. لقد تخيلت "چاك" وهو يلعب الحجلة مع تلاميذه من ذوي الأعمار التي تدور حول السابعة، وارتسمت ابتسامة على فمها. أطلقت تنهيدة: فنظر إليها . فقالت:

- آسفة. إني أحلم.

- هذا أفضل . لقد خشيت أنك تهذين بسبب سقوطك على رأسك منذ قليل.

-لا.. إن الأمر لايتعلق برأسي .. ثم إن "البيتزا" امتصت الصدمة . لف عند الناصية القادمة.

- لاأستطيع أن أقول: إن هذا الحي لطيف على الإطلاق.

تلقت "بيرما" اللطمة.

- إنه حي المهاجرين : مخابز إيطالية، ومطاعم أوروبية، ومحلات كواء فيتنامية .. أشخاص طيبون يصارعون من أجل البقاء مثلي.

دار "چاك" بالسيارة يمينا . أخذ يشاهد- أثناء مروره - الشوارع المعتمة والمتقاطعة، وواجهاتها البشعة.

- لماذا اخترت العمل في محل "بيتزا"؟

- وأنت لماذا اخترت العمل كمدرس؟

ابتسم:

-أنا مخترع "جنوك".

-"جنوك"؟!

- إنه لذيذ وشهي، ويؤكل بثلاث طرق مختلفة. إنه أصبح عتيقا.

-آه .. لقد رأيت هذا الإعلان في التليفزيون- إنه من اختراعي . أنا أعمل في معامل "باكستر". في الحقيقة كنت أعمل على ابتكار مادة لاصقة جديدة عندما اكتشفته.

-هل أنت كيميائي؟

-لقد كنت. ولكنني كففت عندما حصلت على ثمن اختراعي . إنني أكره ساعات العمل المحددة، وأنوار النيون.

ابتسم في فخر.

- أنا الآن مخترع.

- والمدرسة.

-إنهم يشكلون حقل تجارب لي . لدي - تحت يدي - واحد وعشرون طفلا، لأجرب عليهم أفكاري الجديدة. ثم إن لدي دبلوما للتدريس، وكنت في حاجة إلى المال. لأن كل ما حصلت عليه من "جنوك" استخدمته في المنزل وهذه السيارة.

أحست الشابة بالغيظ . هذا الشاب ضحى بمهنته من أجل اختراع غبي . وهو يعتبر تلاميذه- البالغين السابعة من عمرهم- مثل فئران التجارب . إن داخل هذا الأمير الساحر آثار بشاعة . سألها :

- وأنت ؟ كيف حدث وجئت إلى حي المهاجرين هذا ؟

- عندما تم طلاقي من أربع سنوات كنت في حاجة للعمل في شيء يدوي يتعبني ويشغل بالي، ويكون في نفس الوقت قريبا من الجامعة. وهانذا عثرت على هذا المكان . وعندما أحيل صاحبه إلى المعاش، قررت أن أضع روحي وجسدي في هذا العمل، وأن أقيم مشروعي الخاص .

www.rahayna.com

أوقف "چاك" السيارة بطول الرصيف حسب تعليمات "بيرما". أخذ يتامل البناية التي من الطوب الأصفر، وفي الدور الأرضي منها يوجد مطعم تقول لافتته: "صندوق البيتزا"، بالنيون الأحمر الذي يومض في نافذة العرض. سالها :

- هل تعيشين هنا؟

كانت ستائر بيضاء تزين نوافذ الدور الأول .

هزت "بيرما" رأسها علامة الإيجاب . سالها :

-بمفردك؟

-ليس الآن .. لقد تبنيت ثلاث نساء عجائز هذا الأسبوع . إنها حكاية طويلة.

خرجت من السيارة سعيدة لأنها تبتعد بعض الشيء عن "چاك" . إن الشابة تشعر بجواره بانها ليست طبيعية . لقد تصرفت مع هذا الرجل ببلاهة - خاصة- عندما وجدها جالسة على علبة "البيتزا". يا إلهي ! لقد كان ظهرها مغطى بـ"البيتزا"، وذراعها مخدوشة، و"الچينز" ممزقاً عند الركبتين . صعدت السلم الضيق المؤدي إلى الشقة وهي تعض شفتها . ما الذي ستفعله لاستبدال سيارتها. وهذا يحدث -بالضبط- عندما بدأت الأمور تتحسن -خاصة- بعد العقدين اللذين ابرمتهما مع شركتين كبيرتين ! ما الذي ستفعله لتسليم الوجبات؟ كانت "اليكساندرا" تنتظرها عند رأس السلم . صاحت الشابة- وهي مذهولة وتشعر بالمهانة الشديدة:

- يا إله الرحمة! يا إله السموات!

ردت عليها "اليكساندرا":

-حسنا ! يالها من مفردات ممتازة تصدر من شابة. اقولها لك بصراحة : انا لا اطيق احدا يسب ويلعن امامي.

ظهرت "جيسي"، وهي عجوز اخرى، لها شعر ابيض -وهي تحجل على قدميها- بجوار المراة الأولى .

- هيا .. هيا يا "اليكساندرا". يجب عليك ان تسعدي .. إن الشابة تردد اسم الرب.

تبعتها الثالثة "إيلينا":

- إن "اليكساندرا" على حق. ثم من حين لآخر لاضرر من إطلاق الفاظ السباب . فضلا عن ذلك فكري: ماذا يمكن ان تقوله من سباب حقيقي؟!

- لا...

حاولت المراتان الأخريان أن تمنعاها في الوقت المناسب، ولكن العجوز "إيلينا" نجحت في إطلاق سيل من السباب الممتاز الأصلي، حتى إن "بيرما" نفسها تعجبت من أنها - هي نفسها- لاتعرف هذه اللغة ، نظرت "جيسي" إلى الشابة بعد أن اضطرت لإسكات صديقتها .

- ما الذي حدث لك إذن يا "بيرما"؟

أخذت النساء الثلاث، وهي تشكو لهن ، وهن يصحبنها إلى الصالون. طفرت الدموع من عينيها :

- لقد سقطت من أعلى شجرة على علبة "البيتزا"، ثم تحطمت السيارة الچيب بعد أن سقطت إلى قاع الأخدود . وبعد ذلك...

وضعت "جيسي" تحت قدمي الشابة حوضاً من الماء والصابون، ثم بدأت تنظف جروح خدها.

-الم يحدث لك شيء آخر بجوار هذه الأحداث الصغيرة؟

-يوجد شخص .

استطاعت "إيلينا" أن تصيح:

- ومن يكون ذلك الحيوان ؟ يا إلهي !

-انا "چاك سوبر" صديق "بيرما".

أخذ قطعة القماش المبللة من يد "جيسي"، وبدأ في مسح وجه "بيرما". تخشبت الشابة عندما أحست بلمس أصابعه. أن تتحمل حنان العجوز الطيبة شيء وأن يعالجها "چاك" فهو شيء آخر. فكرت أن ذلك أفضل مما تفعله العجوز، ولكنه ليس مطلوبا. صرت على أسنانها. سألته:

- ماذا تريد باختصار؟

- تخيلي أن هذا بالضبط نفس السؤال الذي كنت سأطرحه عليك حالا. لقد كنت جالسا في سيارتي، ومنعني أمر ما من أن أرحل، صورتك وانت تحاولين ركوب سيارة بطريقة "الأوتوستوب" على جانب الطريق السريع، كما تفعل المتشردات والهاربات من أهلهن. وانت تحملين خمس عشرة فطيرة "بيتزا" باردة على ذراعيك.

-لاتشغل بالك، فإنني أستطيع التصرف.

- نعم .. ولابد أن أصارحك بشيء .. إن تلك الهريرة التي كانت فوق الشجرة هي ملكي .. إنها تعشق ذلك المكان، وتعود إليه بلا انقطاع و...

نظرت إليه "بيرما" وقد اتسعت عيناها كصحني فنجانين من الذهول:

- وانت تتهمني ظلما بانني كنت اتجسس عليك؟!

تبادلت العجائز الثلاث النظرات في ضيق.

وفي نفس الوقت عثرن على مهام تشغلهن عن الإنصات للشابة والشاب الذي قال:

-لا. لم اتهمك بالتلصص علي، وإنما شاهدتني ... اليس كذلك؟

اشارت إليه بان يصمت، وهي تنظر إلى العجائز الثلاث اللاتي كن يتظاهرن بعدم الانتباه، وإن لم يفهمن كلمة واحدة من المناقشة بينها وبينه. قالت له بصوت منخفض:

-كان من الواجب عليك تركيب "شيش" للنوافذ. مال نحوها، وهمس:

-لم يكن عندي الوقت الكافي لذلك، ثم إنه لايوجد جيران قريبون ثم..

رفع صوته وقال:

- على أية حال لم أحضر إلى هنا لمناقشة ميولك التلصصية! سارت "بيرما" وهي غاضبة نحو العجائز الثلاث اللاتي كن يتهامسن معاً، وتوقفن أمام نظراتها الصاعقة. ثم استدارت مرة ثانية نحو "چاك"، وأشارت له بذراعها:

- اخرج!

جلس "چاك" في المكان الذي تركته فيه "بيرما" في استرخاء. ناولته "اليكساندرا" قدح "شوكولاتة"، الذي قبله بروح طيبة وقالت له:

-لاتشغل بالك بها. إنها سريعة الإثارة، ولكن في داخلها طبيعة طيبة.

قالت "بيرما" بإلحاح:

-أنت ترين جيدا يا "اليكساندرا" أن السيد سيرحل، وانه- على أية حال- لن يقبل قدح الشوكولاتة. قالت "إيلينا" و"جيسي" تؤيدان ثالثتهن:

- نعم. إن طبيعتها طيبة.

قدمت "جيسي" لـ"چاك" طبقا من "المكرونة".

- لقد طهوناها للتو، وهي طازجة.

ثم اضافت - موجهة الكلام إلى زميلتيها-:

- نعم لقد طهوناها للتو، وهي طازجة .. يا إلهي!

كم هو رائع أن نجد رجلا في البيت!

قالت له "اليكساندرا":

- اتدري انها استقبلتنا نحن الثلاث بينما كنا في الشارع؟

اكملت "جيسي":

- لقد كنا نسكن في أحد الملاجئ الخاصة بالمعوزين، ولكن في يوم من الأيام، حولوا الملاجئ إلى منازل سكنية، وطردونا إلى الشارع.

اكملت "إيلينا" الحكاية:

www.zahrawyna.com

- في البداية نمنا في المحطة، ولحسن الحظ- إننا اقسمنا أن نظل معا. وهكذا قرانا في الجريدة الإعلان الذي تطلب فيه "بيرما" موزع "بيتزا"، وتقدمنا نحن الثلاث . اوه .. طبعا لم نكن سوى ثلاث جثث لعجائز، ولكننا فكرنا اننا معا نستطيع أن نشغل الوظيفة.

ختمت "جيسي" الحكاية:

-لحسن الحظ أن "بيرما" قبلتنا في الوظيفة، لاننا كنا على وشك الضياع .. خبرني .. هل حكاية العربة الچيب هذه ستغير من الامور ..؟

زفرت "بيرما":

- يجب الا نعتمد على "الچيب" بعد اليوم ياصديقاتي .

قال "چاك":

- لاتقلقن ياانساتي. فإن "بيرما" ستستخدم سيارتي لحين الحصول على سيارة اخرى .

- إنني- على أية حال- لااريد استخدام سيارتك في تسليم "البيتزا".

أخذ "چاك" يمضغ المكرونة وهو يفكر:

- إنها قطتي التي بدات كل شيء. واعتبر المسؤول عما حدث.

حاولت "بيرما" ان تتجاهل الحرارة التي سرت في جسدها .

- لا أستطيع أن أسلم "البيتزا" في سيارة ثمنها اربعون الف دولار.

-انا مخترع الـ"جنوك".

- اتعني هذا الشيء الرهيب الذي يتكلم ويمكن اكله ؟

إنني اعشق هذا الشيء.

استدار "چاك" ناحية "بيرما":

- إن المدرسة على بعد دقيقتين من هنا، وأستطيع الاستغناء عن سيارتي، وساسلمها لك غدا صباحا .

الفصل الثاني

تاملت "بيرما" كومة علب الكرتون فوق مائدة التسليم، والتي تحتوي على ثماني عشرة فطيرة "بيتزا" من الحجم الكبير، واثنتي عشرة من الحجم الصغير، والتي يجب أن تسلمها قبل الظهر. ولولا هذه الطلبية الملزمة بتسليمها لما قبلت- قط- سيارة "چاك". رصت العلب بعناية . إن الشابة لاتستطيع ابدا أن تنساه . لقد ظلت طوال الليل تفكر وتفكر في لقائهما العاصف . ولكن ذلك سيمر وتنساه. أمسكت مفاتيح السيارة . كان بإمكانها أن تجد سيارة بديلة، وهذا يتيح لها الابتعاد عنه إلى اكبر مسافة ممكنة .. عن تلك الشخصية الخطيرة. كانت ذراعاها محملتين بـ"البيتزا"، ودفعت الباب بقدم ثابتة، حيث وجدت نفسها خارج المطعم إلى الشارع . نظرت فيما حولها، وتساءلت: أين اوقف "چاك" السيارة؟ . لابد انه وضعها في مواجهة المحل مباشرة.

ولكنها اضطرت إلى أن تنظر في جميع الاتجاهات. ولما لم تجد شيئا.

www.zahrayna.com

عادت بحمولتها إلى داخل المطعم، بعد أن وجدت صعوبة بالغة في فتح بابه . صاحت :

-"جيسي"! أين قال لك "چاك": إنه سيركن السيارة؟

ظهرت المرأة العجوز وهي تمسح يديها المليئتين بالدقيق في مريلتها الزرقاء:

- هناك ياعزيزتي أمام المحل .. ألم تجديها ؟

فغرت العجوز فمها، ونظرت إلى الشارع الخالي، ومسحته بعينيها يمينا ويسارا.

- ياإلهي ! لقد كانت هناك بالضبط حالا . ربما غير "چاك" رايه؟ نعم ربما أخذها في آخر لحظة.

-لا.. إن المفاتيح معي.

انسحب الدم من عروقها . قالت "جيسي":

- ربما يكون اللصوص قد سرقوا سيارة "چاك".

وضعت "بيرما" "البيتزا" على مائدة التسليم . استانفت العجوز:

- ها هو شخص لن يكون سعيدا!

غير سعيدة! وكيف اكون سعيدة ! ولم يعد امامي سوى أن ادخل الدير أو الذهاب إلى "ريودي جانيرو".

ادارت "جيسي" رقم تليفون وهي تنظر إلى وجه "بيرما".

-سأطلب سيارة أجرة لتسليم "البيتزا"، وانت ستبقين هنا وتتصلين بالشرطة. ربما عثروا على السيارة قبل خروج "چاك" من المدرسة.

أحست "بيرما" ببعض التحسن .. على أية حال فإن السيدة العجوز على حق، ولكن - في هذا الحي-لايمكن أن تمر هذه السيارة دون أن تلفت الانتباه.

بعد أربع ساعات كان "چاك" جالسا في مطبخ الشقة الصغيرة في

منزل "بيرما" وقد شحب وجهه وتصلب جسده وقدح من الشوكولاتة في يده . قدمت له "اليكساندرا" طبقا من "البيتي فور" بينما ربتت "إيلينا" يده:

- إن الأمر لن يكون سيئا لهذه الدرجة. على أية حال لم يمت أحد.

اضافت "اليكساندرا":

-لقد طمأننا رجال الشرطة بانهم سيعثرون عليها، حتى لو كانت حطاما.

تحولت نظرات العجوز إلى الاستهجان، بينما ظلت نظرات "چاك" ثابتة على مشمع الأرضية.

- إنها تحفة فريدة لايوجد مثيلها، وكانت مؤمنة تماما بمعرفتي، وعلى يدي، إنه من المستحيل تعويضها . من المستحيل ..

اثناء ذلك كانت "بيرما" تتميز غضبا وهي تقطع كمية كبيرة من العجين إلى كرات متساوية. قالت متهكمة: "إنه سيدفعني للبكاء".

أخذت تجهز قطعة من عجين "البيتزا"، وتفردها، ثم تغطيها بسحابة من الدقيق وهي تتساءل:

ما سبب كل هذه الثورة؟!

عندما قصت النساء العجائز حكاية السرقة واستدعاء الشرطة . كان اثناء هذه الرواية الطويلة قد افلتت منه نفس الشكوى حول سيارته الفريدة اكثر من مرة . بدا وكانه يقول العبارة خصيصا لـ"بيرما" ، والمحت الشابة إلى أن بعض اللقاءات يمكن أن تجلب سوء الحظ للأبرياء.

قالت "إيلينا" معلقة:

-اهدئي ياعزيزتي .. إن طريقة معاملتك للعجين تجعل المرء يظن أن مصير العالم يعتمد عليك.

نظرت إليها "بيرما" فترة دون أن تفهم. بدأت سحابة الدقيق تهبط ببطء. لقد انهمكت الشابة بعد طلاقها لأشهر طويلة في أعمال منوعة كثيرة. لقد كانت هذه طريقتها الخاصة للتخلص من نشاطها الزائد، أو بمعنى أصح ثورة عواطفها الجياشة. ثم شيئا فشيئا- ودون أن تدري- بدأت الحياة تنتصر، وعادت إليها بهجتها وحبها للمرح، وتفاؤلها وسلامها مع نفسها، وتغلب تصميمها على فوضى خيالها الخادع.

ولكن هاهي- بسبب رجل- تعود إلى التصرف مثل الحيوان المحاصر. لقد استطاع هذا المخلوق- خلال أربع وعشرين ساعة فقط- أن يهز توازنها. ومجرد ذكر اسمه كان يصيبها بتقلصات مؤلمة في معدتها، ثم ألم تكف رؤيتها له لأن تسقط من فوق شجرة تماما مثل فاكهة ناضجة؟!.

وكان عليها- مع ذلك- أن تعترف بأن قلقها ومخاوفها لها أساس أكثر إزعاجا من ذلك: إن "جاك سوبر" يوقظ لديها شعورها بالأنوثة. من اللحظة الأولى التي رأته فيها. اجتاحتها رغبة عارمة في أن تقترب منه، وتكلمه، وتنظر في عينيه، وتلمس شعره.

فكرت - وهي تضرب كرة أخرى من عجين "البيتزا" بكفيها- أنها ليست في حاجة إلى ذلك، ويكفيها ما هي فيه من متاعب. أخذت صديقاتها الثلاث ينظرن إليها في دهشة وقد اتسعت عيونهن. سياتي يوم تكون فيه مستعدة، ولكن حاليا عليها أن تدير محل "صندوق البيتزا" وثانيا: أن تحصل على شهادتها الجامعية وثالثا...

كانت محاسبة النفس هذه مستمرة، ولكنها فوجئت برنين التليفون. سارعت "جيسي" برفع السماعة. أضاءت ابتسامة وجه العجوز وهي تعلن:

-إنها الشرطة.. لقد عثروا على السيارة.

قرأ "جاك" العنوان الذي خطته العجوز على دفتر المذكرات، وقرأ بصوت شبه مسموع:

-"ناصية الشارع الكبير والشارع السابع عشر".

قالت "بيرما" ويداها مملوءتان بالدقيق:

-اعرف اين هو. إنه لايبعد عشرين دقيقة على القدمين من هنا.

ارتدت سترتها بسرعة وخرجا. أخذ "جاك" يفحص الشارع المهجور وهو على عتبة الباب.

كان كلب أجرب يعبر الشارع وقد صفعته الأمطار، ووضع ذيله بين ساقيه. بينما الصقت الرياح صفحات الجرائد القديمة بزجاج النوافذ. نظرت "بيرما" إلى الرجل، وفهمت انه يتامل الفقر المختفي وراء أبواب البيوت المتواضعة، والأشباح الضائعة وسط العتمة. أحست بالرغبة في الدفاع عن حيها.

- ليس الأمر بهذه الدرجة من السوء هنا.. هل ترى هناك، فوق محل بقالة "جيوفاني"؟

- إنها السيدة "جيوفاني" تعد العشاء. وفي الصيف تزرع زهور الجيرانيوم على حافة النافذة.. وهناك تسكن أربعة أجيال من عائلة "لنج": وفي العام الماضي حصل "شارلي لنج" على الجائزة الأولى في العلوم بالمدرسة.

أخذ "جاك" يمرر أصابعه في شعرها. إن هذه المرأة الصغيرة تشعره بالحنان نحوها. قرر أن يعاملها بدون تكلف. قال يغيظها:

-انت فعلا حيوية وظريفة عندما تدافعين عن أراضيك. هل تحبين حيك إلى هذه الدرجة؟

- إنني افضل أن يقع بصري على البحر، ولكني عوضت ذلك بالنظر إلى زهور "الجيرانيوم" الخاصة بالسيدة "جيوفاني". والأمر ليس بهذه

الدرجة من السوء. تاملها "چاك" في سكون . وتخيلت "بيرما" انها رات بريق إعجاب في عينيه، واحست بالرغبة عندما احست بان الإعجاب بينهما متبادل .. اصبح لون وجهها قرمزيا، فتسمرت في العتمة حتى لايرى ذلك. همهمت وهي تاخذ طريقها إلى الشارع الكبير:

- من هنا!

سالها "چاك" وهو يمسك بذراعها:

- واين مظلة المطر؟

- ليس عندي .

- على الاقل يجب ان تضعي القلنسوة.

- انا لاأحب ذلك.

- ان تسيري تحت المطر وراسك عار .. إن هذا لن يعجب "اليكساندرا".

- إنني في السادسة والعشرين من عمري، ولا احتاج إلى نصائح.

احست بالرجفة تسري في جسدها، وحاولت ان تتمالك نفسها. استدارت ببطء وارتياب .

-لااريد ان اعرف ما تظنه بي . إنك تنظر إلي كما ينظر القط للفار.

- انا .. انا لاانظر إليك على الإطلاق .

ولكنه يقرا افكارها . انفجر "چاك" في الضحك ضحك ضحكة ادفات قلبها، وملأته بالسعادة.. اقترب منها وهمس:

- إن ما احتاج إليه هو قربك مني، حتى انسى فقدي لسيارتي.

- آه ها !

تراجع خطوة وقال:

-لابد ان اعترف بانني تضايقت عندما تلصصت علي من فوق الشجرة وانا اخلع ملابسي.

صاحت:

-انا لم اشاهدك وانت تخلع ملابسك ؛ لانني سقطت من فوق الشجرة.

- صه!

غطى راس الشابة بغطاء الراس المثبت في معطفها، ووضع ذراعه في ذراعها وسارا . عند وصولهما إلى الشارع الكبير احست "بيرما" بيد "چاك" تتقلص حول يدها .فضغطت على يده بدورها. قال لها :

- انا احس ببعض العصبية.

- ولكن كل شيء سيسير على مايرام.

ولكنها قالت في نفسها : " إذا استمر حظها على نفس المنوال، فلن يسير اي شيء على ما يرام."

انحرفا لليمين في الشارع الكبير، وعلى بعد منهما كان العديد من رجال الشرطة . وخلال لحظات ادركا السبب الذي لفت انظارهم .صاح "چاك" غير مصدق:

- سيارتي !

هز احد رجال الشرطة كتفيه في اسف وساله :

-"چاك سوبر"؟

- إنني انا "چاك". كيف امكن حدوث ذلك؟ إنه لم يبق منها شيء!

اخذ يصرخ، ورجل الشرطة يعلق:

-نحن نعيش وقتا عجيبا.

احس "چاك" باليأس وركل احد الإطارات. قالت له "بيرما":

-ليس الأمر ماساة. ثم إن شركة التامين ..

-نعم .. طبعا .. ولكن هذه السيارة لايمكن تعويضها. إنها آلة وحيدة في العالم. ثم إن لها معنى خاصا جدا بالنسبة لي .. إنها السيارة "جنوك".

بدأت "بيرما" تفهم . لقد منح نفسه هذه السيارة؛ لأنها تمثل له حياة جديدة . وجه "چاك" حديثه لأحد رجال الشرطة:

- هل تعرفون من فعل ذلك؟

- سنفتح محضر تحقيق. وأحيانا تواتينا الفرصة.. نعم. ولكن هذا أمر نادر الحدوث .. أف! . إنها ماساة حزينة ياسيد "چاك".

تقوست كتفا "چاك". و أمسكت "بيرما" بذراعه، ثم نظرت إليه وهي تهزه وتقول له:

-أه .. هذا لايصح على الإطلاق ياسيد "سوبر". أنت مخترع. ومن المفروض أن تكون سعيدا.

-إنها لعبتي المفضلة الأثيرة.

-أليس عندك لعبة أخرى مفضلة وأثيرة؟

-لا.. انا رجل منحوس وكئيب، ولا افعل شيئا سوى عملي .

سعدت "بيرما" عندما شاهدت شبح ابتسامة على وجه صديقها، الذي حدجها بإمعان وأضاف:

-لا.. ليس عندي لعبة .. حاليا.

###

فتحت "بيرما" عينيها على مضض . إن الساعة لم تتجاوز السادسة صباحا بعد و"اليكساندرا" تعد الشاي . صاحت:

- ألا تنامين أبدا يا "اليكساندرا"؟!

- كلما زاد المرء كبرا، قل نومه .ثم إنني لاأستطيع أن انام مع شخير هاتين العجوزين.

كانت الحجرة الكبرى في الشقة تستخدم صالونا، وقاعة طعام، ومطبخا. والحجرة الأخرى- الأصغر- منها تستخدم لنوم العجائز الثلاث . وإذا شعرت "بيرما" بشوق إلى سريرها الكبير. فإنها تنام

معهن . أخذت تدلك إحدى عضلات ساقها المشدودة، ثم ارتدت خفيها. قالت وهي تتثاءب:

-ربما كان من الأفضل لكن أن تتزوجن. الم تفكري في ذلك أبدا يا "اليكساندرا"؟

- أوه ! بل فعلت . بل إنني بحثت، ولكن -بصراحة- لم أعثر حتى الآن على فتى أحلامي . مثلا: لو كنت أكثر شبابا وأصغرسنا، فإن "چاك سوبر" هذا كان سيعجبني ويناسبني بالتاكيد. إنه فعلا فتى مليح. أليس كذلك؟

أخذت "بيرما" إبريق إعداد القهوة في طريقها. لايمكن أن تنكر أن "چاك" يتمتع بسحر مجنون. إنه سحر من القوة حتى إنها نسيت امتحاناتها في الجامعة . كان عليها أن تؤدي امتحانا في الاقتصاد هذا الصباح. أربع وعشرون ساعة مع هذا الرجل جعلتها تنسى دراساتها. فتحت الشابة الثلاجة الكهربائية وبحثت داخلها . سالتها "اليكساندرا":

- عم تبحثين؟

أجابت "بيرما":

- عن قدح القهوة.

- ياطفلتي المسكينة ! إنك لن تجديه داخل الثلاجة.

قالت وهي شاردة وتغلق الثلاجة .

-أه فعلا.

وهذه هي النتيجة. ليلة بدون نوم . كيف يمكنها أن تنام وصور "چاك" تطارد ذهنها ؟ صورة "چاك سوبر" في سيارته الوحيدة في العالم من نوعها، و"چاك سوبر" داخل مطبخها، و"چاك سوبر" في بنطلونه "الشورت" الأزرق ملأت "بيرما" قدحها من إبريق القهوة حتى حافته .

تجهم وجه "اليكساندرا"، وقالت :

- أتعشم أن تظلي بالمنزل طول اليوم . إن هذه جرعة قوية بعض الشيء.

نظرت "بيرما" نحو قدحها وهي لا تفهم ما تقوله وتعنيه المرأة العجوز. رفعت "اليكساندرا" رأسها إلى السماء، ثم أمسكت بيديها قدح القهوة الذي صبته "بيرما"، والقت بمحتواه في حوض المطبخ، ثم غسلته، وأعادت ملئه بالشاي المنعش .

- عندما سقطت من فوق الشجرة، هل كان ذلك على أم رأسك؟

- لقد سبق أن طرح علي هذا السؤال .. لا لقد سقطت على علبة "البيتزا".

- ألا تشعرين بالهيام في حب هذا الـ"سوبر" ؟

-بلى . وهذا أمر مرعب .

بدا على العجوز الاشمئزاز.

-يالك من فتاة حمقاء!

ظهرت "إيلينا" على المسرح، وسألت :

- من هي الحمقاء؟

- هذه الصغيرة . إنها تظن أن الحب ما هو إلا ضياع للوقت.

-يجب القول بانها ليست مخطئة تماما . تذكري هذا الـ"وليام كريسوارد" . خلال سبع سنوات غازلته، وفي اللحظة التي أوشك فيها على الاستسلام اختطفه الموت . لايمكن الاعتماد على الرجال، ولا يمكن أن نعرف أبدا هل خلقوا ليعيشوا طويلا ؟

-ولكن الأمر لايتعلق بعجوزك المنتهي وليام". إن "بيرما" عاشقة للشاب "چاك سوبر"!

وضعت "بيرما" قدحها بقوة فوق المائدة.

-أه .. لست عاشقة لـ"چاك سوبر"!

أخذت تمسح بعصبية الشاي الساخن الذي انسكب على يديها . همست "اليكساندرا" في أذن صديقتها .

-أترين ؟ إنها مجنونة بحبه.

ارتشفت "بيرما" بعض الشاي، وأغلقت كتبها الدراسية.

- أنا لا أستطيع أن أكون عاشقة لأحد خلال أربع وعشرين ساعة. ثم إن أمامي الكثير لأفعله. لابد أن أنجح في الاقتصاد الذي لم أستعد له بعد. ألقت نظرة على ساعة يدها .. لايوجد سيارة، وهي قد تأخرت بالفعل . قالت :

-حسنا. سأسرع عدواً إلى المكتبة لأسترجع معلوماتي قبل الامتحان سلموا "البيتزا" بسيارة أجرة، وسأعود في الساعة الثالثة والنصف . اتفقنا ؟ هل ستتمكن من التصرف بمفردكن؟

- ليست هناك أي مشكلة.

نهبت "بيرما" السلم مسرعة. تاوهت "جيسي".

- سيبدو مظهرك رائعا وأنت بالخفين وقميص النوم!

بعد عشر دقائق أغلقت "بيرما" باب الشقة وراءها، وأخذت نفسا عميقا من هواء الصباح. سارت بسرعة. وسرعان ما وجدت نفسها أمام مدرسة "ويلارد سترين". فكرت في أنها لابد أن تكون مدرسة "چاك سوبر".

أي ذكريات عادت إليها وهي ترى هذا المبنى الذي يشبه مبنى مدرستها وهي صغيرة. كانت تعيش طفولة هادئة، بلا مفاجآت . أدركت "بيرما" فجأة ما تبحث عنه، وتحاول بهمة ونشاط أن تعيد بناءه: إنه ذلك الاستقرار الذي تمكنت أمها من أن تقيمه . فهي ليست صارمة للغاية، ولامتقشفة. لقد كانت تعيش حياة مقبولة، ومريحة،

وامنة.

ولكن كيف تسير حياتها الآن ؟ ثلاث سيدات عجائز. لايشترين سوى عصير الخوخ، وأدوية ضد التوتر . ثم هناك "چاك سوبر".

حثت "بيرما" خطواتها . إن الأيام اصبحت قصيرة. إنها تحتاج لأن يكون اليوم ثلاثين ساعة، حتى يتاح لها الوقت لتنجز كل شيء. منذ عشر سنوات تجنبت كل المباهج- حتى المتواضع منها- حتى تستطيع أن تنجح في مهنة : مهنة زوجها سابقا، ثم مهنتها . والآن، تريد أن ترفه عن نفسها. احرقت الدموع عينيها اليوم ليس كالأمس . ثم إنها بدون السيارة "الچيب"، وعليها أن تضاعف عملها عما كان قبل.

مسحت "بيرما" -بحركة عصبية -بيدها الدمعة التي سالت على خدها، ثم اخذت نفسا عميقا من الهواء المنعش، ثم تعلقت في تفكيرها. بالتاكيد ليس لديها الوقت لتشكو.

الفصل الثالث

رات "بيرما" وهي شاردة سحابة الدخان السوداء ترتفع عن بعد. استغرقت وقتا لتخرج من افكارها، ولم تنجح في ذلك إلاعندما لمحت طابور الشاحنات الحمراء المصفوفة امام مطعم "علبة البيتزا".

فشعرت بالخوف . توقف قلبها عن النبض- أو خيل لها ذلك- عندما رات الجدران سوداء من الهباب.

-لا.. اوه .. لا!

في هذه الساعة- عادة ما تكون "إيلينا" و"اليكساندرا" و"جيسي" ياخذن تعسيلة نوم، أو يشربن الشاي. هل يمكن ان يكن الآن خلف الجدران السوداء؟! أوشكت "بيرما" على ان يغمى عليها . ودون أن تدري كيف. استطاعت ساقاها أن تحملاها إلى العمارة. ولكن الخوف والالم كانا يسحقانها، وغامت عيناها، واحست بتقلص شديد في المعدة. وعندما رات الرؤوس الثلاثة البيضاء بجوار رجال الإطفاء،

www.zahrawyna.com

اطمأنت- أخيرا- إلى أنهن مازلن على قيد الحياة. بدأ رأسها يدور، وخانتها ركبتاها، ثم غرقت في ظلام دامس.

بعد دقائق ثلاث استعادت "بيرما" وعيها. فتحت عينيها وهي تبتسم، وقالت:

- شكرا على العربة يا أمي.

هزها "چاك".

- ما الذي تقولينه؟

قالت:

- العربة ممتازة يا أمي.

- أنا لست أمك .. انظري إلي.

طرفت "بيرما" بعينيها، ثم ركزتهما. هل ظنت أن "چاك سوبر" هو أمها؟! ومع ذلك فإنه لايشبهها على الإطلاق، ولا يشبه نفسه. لقد كان وجهه أسود من السناج (سواد الدخان). ونظراته تحمل أقصى درجات القلق. همست في ضعف:

- إن لك رأسا غريبا!

-لاباس. وكيف حالك أنت؟

- على خير حال طبعا.

- لقد أغمي عليك. هذا يحدث لمن لايتناولون إفطارهم.. هل تفهمين؟ لقد أرعبتني.

تاملته "بيرما" في ذهول. إن القلق البادي على وجهه كان بسببها هي؟

-أرعبتك؟ هذا أمر رائع حقا.

ساعدها "چاك" على الجلوس، وقال لها في استغراب:

- هل أنت واثقة بأنك بخير؟ إن شقتك احترقت لتوها، وأنت

تبتسمين في منتهى السعادة!

-إن المنظر رائع في وجود كل رجال الإطفاء هؤلاء. ثم نهضت وحاولت أن تكتم ابتسامتها، وقالت:

- هانذا! هل يبدو علي الجدية؟

جاءت "اليكساندرا" تلوح بمنديل وقالت:

-اعذريني ياعزيزتي، فلست سوى حمقاء. لقد منحوني حلوانا محترما عند تسليمي أحد الطلبات، واشتريت صواريخ للاحتفال.. وهذه هي النتيجة.

نظرت "بيرما" إلى "چاك"، الذي قال شارحا:

- نعم. لقد وضعت الصواريخ على المائدة، ونسيتها بعد أن أشعلتها، فامسكت النيران في المائدة، ثم الأريكة، وبعدها الستائر..

- وهل الأمر خطير؟

-ربما يكون أسوأ، فإن معظم الخسائر تسببت من الدخان. ولكن في الدور الأرضي لم يصب أي شيء بضرر.

- هل يمكن أن أرى ذلك؟

-نعم. لقد أنهى رجال الإطفاء عملهم ،وهم على وشك الرحيل.

شقت "بيرما" طريقها حتى المنزل يتبعها النساء الثلاث و"چاك". دخلت الصالون، وغاصت قدماها في "الموكيت" الغارق في الماء، كل شيء أسود: الجدران والأثاث والنوافذ .. كما احترقت الأريكة، ثم غرقت في الماء وتفككت. قالت "جيسي":

- إن هذا المشهد يدعو للبكاء .. كم كانت شقتك آمنة ومرضية!

قالت "اليكساندرا" وهي تمسح دموعها:

-لن يعود الأمر إلى ما كان عليه أبدا.. إن كل شيء رائحته دخان: ملابسنا ،وبياضاتنا، وحتى أكياس الشاي.

www.alkawyna.com

وافقتها "بيرما":

- صحيح. إن الرائحة فظيعة . غدا يمكننا فتح النوافذ للتهوية.

قالت "إيلينا" مقترحة:

-ربما يجب علينا ان نعود إلى المعيشة في المحطة. هل ستاتين معنا يا "بيرما"؟

قال "چاك"- بعد أن أطلق زفرة طويلة-:

-لاأحد سيذهب إلى المحطة. إن لدي بيتا خاليا وكبيرا بحيث يسعنا جميعاً . ستاتين لتعشن عندي، حتى يتم إعادة الشقة لحالتها .

حدجته "بيرما" غير مصدقة لما تسمعه !

- هل أنت ..أنت واثق من عرضك هذا ؟

- لا .. نعم!

صاحت "جيسي":

-بيت ! هل تسمعن؟ سنسكن في بيت؟

وقفت "بيرما" فجاة عند عتبة الحمام، ثم أمسكت بين أصابعها بشيء رمادي مقزز المنظر، وأعلنت والدموع في عينيها :

- هذا ما تبقى من فرشاة أسناني!

جمع "چاك" السيدات، وأنزلهن إلى خارج المبنى، وقال:

-سنشتري فرشاة جديدة وقمصان نوم كذلك. ولكن لنغادر المكان بسرعة وغدا يوم آخر.

تبعتهم "بيرما" وهي تتساءل :لماذا لاأشعر باي صعوبة أو الم ؟" اي شخص في مكانها كان سيبكي، بينما هي تشعر بالرغبة في الغناء!"

لابد أن ذلك بسبب الصدمة : إنه التصرف الغريب أمام الكارثة.

راقبت "چاك" وهو يهبط الدرج، وقدرت عرض كتفيه وهي تجبر نفسها على عدم الابتسام . إن الموقف يتطلب منها أن تبدو في مظهر جيد .

ماذا يمكن أن يقولوا عنها عندما تخرج من شقتها المحترقة وهي تبتسم ابتسامة عريضة ؟ ربما سينتهي رأيهم إلى أنها سعيدة لأنها ستعيش في بيت "چاك" . فتح لها الباب حتى تمر وقد بدت عليه الدهشة . سألها :

- لماذا كل هذا الرضا ؟!

- ماذا ؟ إنه ليس رضا! بل -بالعكس - قلق وحزن. أغلق الباب بالرتاج، ووضع لوحة :"مغلق " في نافذة عرض المطعم "صندوق البيتزا". عندما قادهن إلى سيارة "ميني باص" زرقاء، دهشت الشابة .

-ميني باص ؟! ولكن هذا ليس النوع المفضل عندك.

فتح "چاك" الباب الخلفي للسيدات الثلاث .

-لست أدري ما النوع المفضل عندي . أحيانا أكون أعزب لاهيا، وأحيانا أخرى لدي بيت ممتلئ بالنساء. في حين لاتصلح أي واحدة منهن لرجل أعزب .

- ماذا ؟ وماذا عني أنا ؟

التهمت نظرات "چاك" خصلات الشابة الشقراء ذات الأنف الصغير الشامخ، وبكل ما فيها. صرت "بيرما" على أسنانها من الغيظ، وسألته :

- هل تهزأ بي يا "چاك" ؟

قال:

-قليلا . إنني أخشى أن أقول: إنك غير مقبولة. انت لاتصلحين أبدا لاعزب . وإنما تصلحين زوجة .

جلست "بيرما" على المقعد الأمامي "للميني باص" :

- لست أدري كيف اتقبل هذا الكلام..

همس:

-اعتبريه مجاملة.

أحست "بيرما" بقلبها يقفز داخل صدرها . لقد مضى وقت طويل منذ أن حدثها رجل بهذه الطريقة !

لقد أوشكت أن تنسى السعادة التي يمكن أن تبعثها مثل هذه الكلمات . أقسمت في الحال أن تنهي دراستها، وأن ترفع من مستوى شركتها، وأن تعثر على زوج طيب . لقد أضافت هذا العنصر إلى قائمة ما يجب أن تقوم به من أعمال . صاحت "إيلينا":

- انظروا ! إنه الريف!

عارضتها "اليكساندرا":

- هذا ليس الريف على الإطلاق . إنها الضاحية. إنك ترين جيدا أنه لاتوجد أبقار أو حيوانات .

حاولت "بيرما" أن تسترخي وهي تتامل المناظر الطبيعية . سواء أكانت هناك أبقار أم لا. فهذا هو الريف الذي يمتد أمامهم . بدأ الطريق يضيق. ومروا على قنطرة فوق النهر قبل أن يصعدوا نحو البيت .. بيت "چاك" . أحست "بيرما" بأنها تسافر في رحلة . لقد مر أكثر من ست سنوات منذ قامت بآخر رحلة . إن الرحلات بند آخر تضيفه إلى القائمة.

مالت النساء العجائز الثلاث إلى الأمام؛ حتى يرين الطريق أفضل، وهن يتخيلن في منزل "چاك" . أما "بيرما" فلم تكن تستطيع أن تشعر بسعادة أكثر مما تشعر بها الآن، فيما لو كانت مسافرة إلى جزر "الباهاما" أو "مونت كارلو"، حيث يوجد السكون والأشجار والريح والطيور و "چاك سوبر" . تخشبت "بيرما" فجاة وعضت على شفتيها، ثم خفضت زجاج النافذة . لقد بدأ الجو يزداد حرارة. يلزمها باي طريقة أن تعيد ترتيب أفكارها . إنها ليست ذاهبة إلى جزر "الباهاما" أو "سان مورتيز". هزت "إيلينا" ذراع الشابة وسالتها :

- هل اقتربنا من المكان؟

- نعم . ولكننا لسنا في عطلة صيفية.

قالت السيدة العجوز :

-هيا ! بل بالتاكيد نحن في عطلة صيفية!

هزت النساء الثلاث رؤوسهن علامة الموافقة. وزفرت "بيرما" وهي تغوص في مقعدها .

قالت في نفسها : إن الأمر سيكون صعبا". لقد بدالها البيت أصغر وأقل رهبة في النهار عنه في الليل . بل كان على الشابة أن تعترف لنفسها بانه -أيضا- أكثر بهجة وهو محاط بالزهور. كما إنه مقام على أرض محاطة بالنجيل الأخضر. كانت شجيرات "المانوليا" تميل بأفرعها على الشرفات الخشبية. أما باب المدخل فقد كان منحوتا من الأحجار . علقت "اليكساندرا":

- ياله من بيت فاخر!

عندما وصلوا إلى المدخل، أعجبت "بيرما" بالباركيه اللامع والمدهون بالورنيش، وكذلك الدرج الخشبي المصنوع من خشب البلوط الأندلسي بدرابزينه المنقوش والمصنوع يدويا . وكانت هناك أريكة ضخمة وجميلة تدعو الزائرين للجلوس، بينما سجادة شرقية طويلة تمتد حتى الحجرات الأخرى . لقد كان -بحق- منزل الأحلام . إنه يساوي فعلا أموال "جنوك"، ويحتاج فعلا إلى السيارة "الكاديلاك" لتكمل الصورة وهي رابضة داخل الجراج . قالت "إيلينا":

- سنتمتع بحياتنا هنا كالمجانين . لقد تمنيت دائما أن أسكن في بيت مثل هذا، وأستطيع أن أبقى هنا لآخر أيام حياتي . هيا يابنات، لنر الدور العلوي.

لاحظت "بيرما" مدى رعب "چاك". وكان عليها أن تضع يدها على

فمها لتكتم ضحكتها. أمسك بياقة قميصها وقال لها مؤنبا:

- لقد رأيتك تضحكين .. انت حقا قاسية يا انسة "كودسن". طمئنيني، وقولي لي: إنهن لن يبقين هنا للأبد ! أنا أحبهن حقا، ولكني أعتقد أنهن يمكن أن يصبنني بالجنون ..

قالت في نفسها :"إنها ليست في عطلة". دس "چاك" يديه في جيبي بنطلونه وقال لها :

- إذن ما رأيك ؟ أم هل غيرت رأيك؟

سألته :

- ماذا؟

- حسنا .. أحيانا يبدو عليك وكأنك على استعداد للتهامي، وهذا لايزعجني على الإطلاق . على أية حال- نحن صديقان حميمان، ولا أخفي عنك شيئا.

حدجته "بيرما" بنظرة دهشة . إنه يتمتع بروح الدعابة اللاذعة، والقدرة على تفجير الرعشة في جسدها وهو يحدثها بصوت منخفض.. إن ذلك لن ينجح فيما بينهما . قالت في ضعف :

-لابد أن أعود إلى بيتي.

نظر إليها "چاك" نظرة جعلت قلبها يدق حتى أوشك أن ينفجر . إنها تتساءل: هل يمكن أن تصاب بأزمة قلبية وهي في سن السادسة والعشرين؟! شحب وجهها، وظهر الخوف الشديد عليها . غرقت في أحلامها.

عندما سمعت صوت أقدام العجائز الثلاث وهن يهبطن الدرج، افاقت من أحلامها، لتعود إلى أرض الواقع . قالت "اليكساندرا":

- يجب أن تصعدي لترى الدور الأول يا "بيرما" إنه ساحر، وتستطيعين رؤية كل العالم من أعلى.

كانت "جيسي" تتبعها عن قرب. علقت:

-ولكن لايوجد اثاث كاف .. ثم لاتوجد ستائر على النوافذ.

قال "چاك" وهو يرتدي سترته :

- توجد مفارش يمكن تعليقها على النوافذ هذا المساء .. سأذهب لشراء فرشاة أسنان.

www.zahrawia.com

الفصل الرابع

تربعت "اليكساندرا" و"إيلينا" و"جيسي" على الأريكة، وقد تركزت عيونهن على التليفزيون . جلست "بيرما" على السجادة . لم تستطع أن تمنع أفكارها من التشتت . كان "چاك" مرتديا "الچينز" وقد بدا مثل القرصان . غامت عيناها وهي تتذكر المكان وتتصور التفاصيل الخفية . وعندما نهض، أخذ يتمطى، فركزت نظرها على الفيلم. أحست به يقترب منها . احتك بها بركبته. منعت نفسها من أن تنظر إليه . همس لها:

- أفسحي لي المكان لأجلس .

جلس بينها وبين الأريكة، وأصبحت محصورة، وحاولت الحركة، ولكنه منعها . همس:

- كم هي رائعة .. هذه الجلسة!

رائعة ! إن قربه منها يشعرها كأنها في الفردوس.

قالت له:

- نعم.

ولكن اللحظة غير مناسبة لأن تجري وراء أحلامها . إن حياتها معقدة بما فيه الكفاية : بين محلها "صندوق البيتزا" والعجائز الثلاث، والچيب التي ضاعت، والشقة التي احترقت .. إن "بيرما" لاتعرف ماذا يخبئ لها القدر بعد ذلك، ولكنها تشك في إمكان أن تواجهه وقلبها محطم.

- لست أظن أن هذه فكرة جيدة .

-صه .. أنت تزعجين السيدات.

استدارت "بيرما" نحوهن لتجد أنهن منهمكات في متابعة الفيلم، وقد وضعن بقايا العشاء على المائدة المنخفضة أمامهن . حاولت أن تهرب من حصاره :

-كف عن الحركة لأنني أتابع الفيلم.

أخذت الأمطار تسيل على زجاج النوافذ. أما على شاشة التليفزيون فقد انتهى الفيلم ، وأحست هي بالارتياح. قالت "جيسي" معلقة:

- فيلم رائع.. لم يسبق لي أن شاهدت فيلما "بالڤيديو".

ايدتها "اليكساندرا":

- أنت تدللنا وتفسدنا يا "چاك".

رد "چاك":

- بمناسبة التدليل، لدي بعض التدليل أوزعه عليكن.

بعد عشر دقائق عاد "چاك" وذراعاه محملتان :

قال لـ"اليكساندرا" وهو يناولها كيسا كبيرا :

- هذا من أجلك ياعزيزتي "اليكساندرا"، وهذا من أجل "إيلينا"، وهذا من أجل "جيسي" . صاحت الأولى .

- أحمر شفاه وقميص نوم .. ما هذه المعجزات !

قالت "إيلينا" في خجل :

- فرش للأسنان و"كريم" للوجه، وحتى فرشاة للشعر.

نظرت "بيرما" إلى "چاك" وقالت معلقة :

-إنني أجد أن معلوماتك كافية عن الاحتياجات النسائية.

شرح لها قائلا بفخر:

-إن لي أربع أخوات صغيرات ، وأعرف النساء جيدا.

كتمت "جيسي" تثاؤبها وقالت:

-سأذهب لأجرب قميص نومي .. أين السرير ؟

قال "چاك" :

- إن عندي أربع حجرات، ولكن يوجد سرير واحد . والحل هو أن تنمن أنتن الثلاث على السرير، وأنا و"بيرما" ننام في الدور الأرضي.

سألته "إيلينا":

- في الدور الأرضي ؟ ولكن لاتوجد أسرة.

- ستنام "بيرما" على الأريكة، وأنا أنام على الأرض.

شكرته "بيرما" :

-إنه لطيف جدا منك أن تفكر في الجميع.

وعندما رحلت السيدات الثلاث أضافت :

- لقد مضت فترة طويلة لم يرتكبن فيها أي حماقات.

- أنت لم تفتحي كيسك بعد!

كان بالحقيبة- بالإضافة إلى ما أحضره للسيدات العجائز- أدوات تجميل كاملة وفاخرة. قالت:

- لقد كنت أخشى أن أفتحها خوفا من المفاجآت. أوه. وهذا عطر فاخر.

- نعم.

- هل حصلت الأخريات على قمصان نوم؟

- يوجد واحد في قاع حقيبتك.

- لا.. لا يوجد.

- أعتقد انك لاتحتاجين إلي قميص نوم..

- وما الحل؟

-يمكنك أن تنامي هكذا بملابسك، أو تخلعي البلوزة و"الـ ـب". وعلى أي وضع فأنت رائعة عندما تنامين. لقد أوشك قلبي أن يتوقف عن النبض، عندما شاهدتك بعد أن فقدت الوعي إثر سقوطك من فوق الشجرة.

سمعا صوت "اليكساندرا" من أعلى السلم :

-سناوي إلى الفراش .. هل تحتاجان إلى شيء ؟

سألته "بيرما" :

- ماذا تقول؟

قال "چاك" وهو يمرر أصابعه في شعره :

-إنني لاأريد أن أسبب لهن الخوف.

عاد بعد دقائق ونراعاه محملتان بكيسي نوم خاصين بالرحلات والمعسكرات الخلوية. يعلوهما "بيچاما" من الحرير . ألقى الكيسين إلى الأرض ليريها "البيچاما" ذات اللون الكحلي .

- لقد أعطتني إياها أختي في عيد "الكريسماس". إن لديها فكرة ثابتة عن حياة العزاب .

-آه .. نعم.

-إنني أفضل أن تنامي في "بيچاما" حريرعلى أن تنامي في قميص النوم.

-اسمع. إنني لن أنام معك في حجرة واحدة .

- لقد كنت موافقة إلى أن قاطعتنا المزعجة "اليكساندرا"!

www.rewayna.com

احتجت "بيرما":

- لقد كانت .. لحظة ضعف، لم أكن أستطيع فيها التفكير السليم. وعلى أية حال سانام بكامل ملابسي.

علق "چاك":

-ولكن ذلك لن يكون مريحا.

لم تتصور "بيرما" أن هناك شيئا أشد إزعاجا وإقلاقا للراحة مثل نومها "بيجاما" حريرية كحلية اللون. إن هذه الفكرة - وحدها- تجعلها تشعر بالجنون. اختارت أحد كيسي النوم، وفردته فوق الأريكة. كان "چاك" يراقبها، وشبح ابتسامة على شفتيه. صرت "بيرما" على أسنانها وهي لاتفهم لماذا يبتسم. كيف يشعر هكذا بانه على راحته ؟! لابد أن "چاك سوبر" مر بمغامرات عاطفية بعدد شعر رأسه.

أطفأ "چاك" النور، وسمعته "بيرما" وسط العتمة وهو يستعد للدخول في كيس نومه.

وسرعان ما استغرق في النوم، وحذت هي حذوه، حيث نامت داخل كيس النوم فوق الأريكة. بعد دقيقتين ساد السكون، الذي لايقطعه سوى صوت تنفس الرجل المنتظم.

فكرت في أن هذا الرجل ليس مليحا فحسب، وإنما أيضا حار العواطف الإنسانية، وشديد الشجاعة، وغريب التصرفات، وإنها تحبه بشدة.

انتفضت "بيرما" مستيقظة على صوت ضجة رهيبة، وجلست بكيس النوم على الأريكة. فتح "چاك" إحدى عينيه وتساءل:

- هل هذه أفيال السيرك؟ هل يسير السيرك أثناء الليل؟

-لابد أن السيدات قد استيقظن.

ألقى "چاك" نظرة على ساعة يده:

-إنها الخامسة والنصف.

أضيئت الأنوار، وصوتت الأقدام على الدرج. زمجر "چاك"، وخرج من كيس النوم. ثم أضاء النور ليجد شعر "اليكساندرا" وكأنها خرجت من معركة.

همس "چاك" في أذن "بيرما":

- من يراها يعتقد أنها أصيبت بصدمة كهربائية. سألتها "بيرما":

-هل هناك شيء ؟

زمجرت السيدة العجوز وهي تتجه إلى المطبخ:

-أريد قدح شاي..

وصلت بعدها "إيلينا"، وفي أعقابها "جيسي" دون أن تنطقا بكلمة ثم تلا ذلك صوت أدوات المطبخ المعدنية، وبعد دقائق ظهرت "إيلينا" ثانية:

قال "چاك" معلقا وهو يبتسم:

-لابد أنهن لم يقضين ليلة مريحة.

صاحت "اليكساندرا" من داخل المطبخ متذمرة:

-ولكن أين الشاي؟! إننا لانجد شيئا في هذا البيت.

ذهب "چاك" لينجدهن، وبعد قليل سمعت "بيرما" أصواتا مألوفة ومطمئنة صادرة عن نشاط "اليكساندرا" و"جيسي" و"إيلينا" الصباحي. كان من حقهن تبادل الحديث الودي. وعندما أعدت المائدة لتناول الطعام، ظهرت "بيرما" لتنضم إلى الصحبة. كان مزاج "اليكساندرا" قد تحسن. ولكن "إيلينا" كانت شاحبة كالشمع سألتها:

- هل تشعرين بشيء يا "إيلينا"؟

انهارت "إيلينا" على مقعد وهي تنظر إلى قدح الشاي وقالت:

-لم يغمض لي جفن طوال الليل.

أفهمتها "اليكساندرا" - وقد بدا عليها الامتعاض-:

-إنك كنت تشخرين. كما كنت تحتلين كل المكان.

مالت "جيسي" إلى الأمام وقالت لـ"اليكساندرا":

- أنت التي كنت تحتلين كل المكان، وليست "إيلينا"!

ولم تكفي عن الحركة والتقلب والشكوى كذلك .

وضع "چاك" قدح قهوة أمام "بيرما"، وقال وهو يميل عليها :

- كما ترين لدينا بعض المتاعب ، ساشتري اسرّة . ولكن -لسوء الحظ - على اثنين منا تقاسم نفس الحجرة .

نظرت إليه "اليكساندرا" نظرة سوداء.

- لقد سمعت كل شيء .. أنتم - معشر الرجال - لاتفكرون إلا في هذا.

غمزت له "إيلينا" بعينها وقالت :

-لاتلقي بالك إليها. إن مزاجها عكر لأنها- هي ايضا- لاتفكر إلا في هذا .

انفجرت "جيسي" في الضحك، وبدا العار على وجه "اليكساندرا".

استمرت "إيلينا" في الحديث:

- ساقول لك شيئا يا "چاك" . عندما تذهب لشراء الأسرّة يمكنك أن تعثر لنا على أزواج معك!

زمت "اليكساندرا" شفتيها. واخذت "جيسي" تضحك حتى إن الدماء صعدت إلى خديها. بينما كانت "بيرما" تحتسي قهوتها في صمت سالها "چاك":

- في أي ساعة يفتح مطعم "صندوق البيتزا" ابوابه؟

- في العاشرة.

-إذن، أمامنا فسحة كبيرة من الوقت .

قالت "إيلينا":

-أولا طعام الإفطار.

اكملت "اليكساندرا":

-ثم الغسيل، وإلا اضطررنا للعمل بقمصان النوم.

وضع "چاك" قدحه على المائدة وهو يتثاءب.

- سأذهب لأخذ حماماً سريعا، ثم نذهب لإلقاء نظرة على الشقة.

###

وجدت "بيرما" صعوبة بالغة في منع دموعها ياسا . لقد خربت الشقة اكثرمما كانت تتوقع . كان السناج (السواد) يغطي كل شيء بل إنه تسرب حتى داخل أدراج "الكومودينو". أحاطها "چاك"، بذراعيه واسند ذقنه على رأسها الأشقر. جرت دمعة على خدها فمسحها بإصبعه.

-لاأريد منك أن تبكي . إن ذلك يؤلمني كثيرا .

- كل شيء اصبح في سلة المهملات.

- ولكن لا!

-لنبدأ بالسجادة .. ثم الأريكة.

كان كل شيء أمامها رهيبا، ولاتعرف من أين تبدأ النظر إليه . قال "چاك":

- ليس الأمر ماساة لهذا الحد. إنها مجرد حادثة . وشركة التامين ستدفع لك التعويض عن كل الخسائر حتى فاتورة المغسلة . وفي رأيي لابد من أن ناخذ كل البياضات ونغسلها في بيتي. والبقية نتركها للمحترفين.

اغلقت "بيرما" عينيها، وسالت دمعة اخرى على خدها:

-من الصعب علي أن أرى هذه الشقة في هذه الحالة .

- وانا كذلك.

-إنني ساحس بالتحسن عندما أراها قد أصبحت نظيفة.

- وانا كذلك.

- هل هذا صحيح؟

- لا. ولكني مستعد لعمل اي شيء في سبيل ألا أرى دمعة اخرى تسيل على خدك.

استدار وبدأ في البحث داخل الادراج، وسألها :

- أين تضعين أكياس "البلاستيك"؟

- في الدرج الأسفل.

عندما وجدها، القى ببعضها إلى "بيرما" قائلا :

-خذي . ويمكنك أن تضعي كل ما يحتاج إلى غسيل داخلها . أما أنا فساحمل السجادة قبل أن تفسد الأرض.

حملت "بيرما" الميني باص بالمفارش والاكياس والأمتعة التي تحتاج إلى تنظيف، ثم استدارت لتتامل عمارتها ذات النوافذ السوداء . القى "چاك" بالسجادة المبللة من إحدى النوافذ وصاح:

- كل شيء إلى القمامة!

-"چاك"!!

مال ليطل من النافذة، وابتسامة عريضة على شفتيه.لاحظت أن خده أسود من السناج.

-نعم يا "بيرما".

-شكرا .

ابتسمت رغم انفها .

###

بعد ساعة عادت "بيرما" يصحبها اثنتان من السيدات العجائز . فتحت باب "صندوق البيتزا"، و احست بالارتياح عندما لم تشاهد سوى بعض آثار المياه على الجدران . وضعت "جيسي" باقة الزهور البرية

على مائدة التسليم.

- لقد قطفتها بنفسي من الغابة. إنها جميلة. أليس كذلك؟

تشممتها "بيرما" وصاحت:

- إنها رائعة!

قالت "اليكساندرا" وهي تربط المريلة حول وسطها:

- اذهبي إلى "چاك" بالدور العلوي. ونحن سنتصرف . وجدت "بيرما" الشقة مزدحمة بالناس .. كانت السيدة "جيوفاني" بالمطبخ، وذراعاها مغمورتان في الماء والصابون. والعديد من شباب أسرة "لنج" يقومون بدعك الجدران و"الباركيه". بينما انتهى شاب أسود من تنظيف إحدى النوافذ وأعلن :

-هانا قد انتهيت. ويمكن رؤية "جيرانيوم" السيدة جيوفاني" من خلال زجاج النافذة..

أخذت "بيرما" "چاك" جانبا، وسالته :

- ولكن، من هؤلاء الناس؟

-أوه.. لقد وصل كل منهم وراء الآخر دون -حتى- أن أحثهم على ذلك.

- هل أتوا ليساعدوا؟

- لقد شرحت لي السيدة "لنج" انه بفضلك حصلت ابنتها على المركز الأول في مسابقة الخط في هذا الفصل الدراسي . وقصت علي السيدة "جيوفاني" كيف انه في الشتاء الماضي- وخلال شهر تقريبا- كنت تصحبينها كل يوم إلى المستشفى، عندما أصيب زوجها بأزمة قلبية.

- ولكني لاأعرف هذا العملاق الأسود.

- يبدو انك صديقة لزوجته "ماري آن".

- "ماري آن" ؟! إنها فرنسية. لاتعرف كلمة واحدة إنجليزية ! وهي تشعردائما بانها وحيدة عندما يذهب زوجها للعمل ولذلك تاتي لتقوم

باشغال "التريكو" بينما أعد لها "البيتزا". لايفهم اي منا كلمة مما تقوله الأخرى .. ولكني أحبها كثيرا.

- كيف وجدت الوقت الكافي لعمل كل هذا بين الدراسة و"البيتزا"؟

- إنني لاانام، ولاأتناول سوى وجبة واحدة.

-افهم من ذلك انه ليس لديك وقت للرجال ..

-إن الرجال قليلو الأهمية عندي.

قال "چاك" بحدة:

-ساغير رايك:

- من حسن حظك ان "اليكساندرا" لم تسمعك . آه لو علمت كيف تحدثني..

قال وهو يقترب منها :

-لايوجد اي شيء مخجل فيما اقوله.

مرت السيدة "جيوفاني" أمامهما، وفي يدها زجاجة منظف ومطهر، وقالت معلقة:

-إن حظك كبير لأن عندك هذا الشاب . إنه يهتم تماما بك.

عزز "چاك" كلامها :

- أترين ؟ حتى السيدة "جيوفاني" ترى أن من الواجب أن أعتني بك .

ردت عليه:

- لست في أي حاجة إليك. وشكرا .

- بل تحتاجين إلي.

-ليس بالطريقة التي تقصدها.

رد عليها كل كلمة باقوى منها :

- بل على الأخص تلك الطريقة .

- اعرف تماما ما انا في حاجة إليه، وهو ليس ما تظنه.

- أتظنين هذا ؟ ومع ذلك سيكون الأمر مسليا.

مد لها سلة المهملات وأكمل :

- خذي. هذه هي أوراق الحائط التي استطعت نزعها من جدران الحجرة.

طاوعته "بيرما" وهي تهمهم:

-اعرف أن هذا الرجل يشكل خطرا عاما .. أنا أعرف ذلك!

قالت "جيسي" وهي واقفة على عتبة المطعم:

- من يراك يعتقد أن أحدهم داس طرفك .

- نعم . إنه "چاك سوبر".

- إنه -حقا- رائع .. أليس كذلك؟

- ليس في رأسه سوى شيء واحد .

- لاتبخسيه قدره ياعزيزتي .. إنه عاشق لك.

قالت "بيرما" وهي تشعر بالمهانة:

- إنه لم يقل لي ذلك قط .

- أحيانا ما يكون القلب متقدما على العقل. إنه قد لايعرف هو نفسه انه عاشق، او ربما هو خائف .. تماما مثلك.

- ولكني لست خائفة.

قالت "إيلينا" بصوت ممطوط:

- لايصح ان تكذبي. ويجب أن تكوني اكثرمرونة ياعزيزتي، فليس في كل يوم تقابلين رجلا مثل "چاك سوبر".

ايدتها "جيسي"- ووميض غامض في عينيها-:

-إنه رجل قوي البنية . رجل بمعنى الكلمة.

www.zahrawyna.com

الفصل الخامس

بعد جولة تسليم "بيتزا" مرهقة، نجحت "بيرما" بصعوبة في أن تخرج من سيارتها . والقت نظرة على نافذة عرض "صندوق البيتزا"، لتكتشف انه لايوجد أحد قط عدا "چاك". حمدت الله لانه لم يكن لديها أي طاقة تقابل بها زبائن بوجه مقبول. دفعت الشابة الباب الزجاجي الضخم، ثم القت بنفسها على مقعد. قال "چاك":

- ما هذا المظهر المستهلك؟

اشارت "بيرما" إلى البنطلون الممزق، ثم إلى شعرها المبلل . وشرحت:

- الكلب .. ولد خرافي ومهرج.

- هل يحدث ذلك كثيرا؟

- بل أسوأ من ذلك .. أين السيدات؟

- لقد منحتهن راحة مسائية . لقد تعبن جميعا، وانت أكثر منهن.

لنعد إلى المنزل.

- اولا: لابد أن انظف الأفران والأرضية و...

قال "چاك" آمرا وهو يشير إلى الباب:

- إلى الخارج حالا!

لم يكن لدى "بيرما" القوة لتعارض . تبعت "چاك" في تراخ إلى سيارته. حيث جلست فيها واخذت تفكر في الطريقة التي قال بها: لنعد إلى البيت. وكانها تعيش معه .. قد لايكون الأمر سيئا على اية حال . كانت تفكر بطريقة غامضة. وهي فريسة لاهتزازات السيارة إلى أن غرقت في النعاس. اخذت تفكر: لو انها تعيش هناك ، فإنها سترى أشجارا حقيقية كل الأيام، وستسير على قدميها الحافيتين على النجيل . وستكون حرة بلا مسؤوليات. حرة كالهواء، يتطاير شعرها معه..

قال "چاك":

- استيقظي، فقد وصلنا .

تبعت "چاك" حتى البيت، وتساءلت: لماذا تشعر براحتها إلى هذه الدرجة؟! لم يكن هناك - تقريبا- اثاث . فجاة عادت احلامها التي قطعها، وطفت على السطح . احلام حول أطفال صغار في أسرتهم، وضعتهم هي في المساء مع زوجها الذي يستحق لقب زوج . كانت قد تزوجت وهي تامل ان تكون أسرة .. داراً مليئة بالأطفال وبضجيج الأسرة السعيدة . ولكن يالخيبة الأمل ! لم يكن لدى "الان" نفس التطلعات مثلها . لم يكن الأمر بالنسبة له سوى ترتيب مؤقت . سالها "چاك":

-اي افكار تزعج هاتين العينين الزرقاوين الحلوتين؟

- لقد فكرت في ان هذا البيت يجب ان يمتلئ بالأطفال .

-الحق معك ..إنه سيكون رائعا وهو مليء بالأطفال والكلاب.

تساءلت: هل قال حقا "سيكون" ؟ اليس لديه أطفال أو كلاب . هل اشترى البيت من أجل شخص آخر؟ استثماراً مثلا ؟ إن لديه مشروعات. والأسوأ انه قد يكون لديه خطيبة، وهي حامل! سألها "چاك" فجأة:

- متى كانت آخر مرة أكلت فيها؟

- أوه .. لست أدري.

-هل- على الأقل- تناولت العشاء؟

تذكرت "بيرما" انه لم يتح لها من الوقت إلا لالتهام قطعة "شوكولاتة" طوال النهار . كانت تفضل أن تأكل سلطة بدلا منها ، ولكن لم يكن لديها وقت سالته :

-لماذا ؟

قال وهو يفتح باب الثلاجة الكهربائية:

-لأنه .. ليس هناك الكثير يصلح للطعام هنا .. لقد تعودت على العشاء عند أختي، فهي لاتسكن بعيدا عن هنا .

أخرج علبة "كورن فيلكس" و"لتر" لبن.

قدم لها سلطانية "كورن" ولبن. لم تلمسها. قالت في تراخ:

-ليست لدي طاقة للأكل.

نهض "چاك" ليعد لها لبنا مخفوقا. قدمه لها :

- امسكي واشربي مادمت لاتستطيعين الأكل .

-ولكنك وضعت بيضا بداخله .

- من أجل الڤيتامينات. ولن تحسي بطعمه .

- إنه لذيذ .

أخذ منها الكوب الفارغ، ووضعه في حوض المطبخ . لف ذراعيه حول كتفيها، ثم دفعها نحو السلم قائلا:

- هيا بنا لننام.

- ولكني انام هنا في الدور الأرضي، على الأريكة .

-لقد تسلمت الأسرة اليوم وكل سيدة لديها حجرتها

-ثم؟

-ثم ستنامين في الحجرة الخاصة بك.

دفع باب الحجرة وادخلها .قالت له:

-إنني حقا متعبة يا"چاك" .

- لاتخافي. فسينام كل منا في سريره. أما اليوم الذي أريد منك مشاركتي السرير، فسيكون عندما تصبحين زوجتي، والأهم أن تكوني في كامل لياقتك الصحية والبدنية.

ظلت "بيرما" فاغرة فمها على أقصى اتساعه.

لقد قال اليوم الذي .. هل هذا سيحدث؟

وضع "البيچاما" الزرقاء الحريرية بين يدي الشابة، ثم خرج وأغلق الباب وراءه.

###

استيقظت "بيرما" داخل اكبر سرير، وجدت فيه أجمل راحة في حياتها . بل إنها لم تر مثله من قبل قط. كم هي طريقة رائعة أن تفتح عينيها وقد ارتدت "بيچاما" زرقاء حريرية..! لو لا انها أحست بشعور داخلي بأن هناك من يتلصص عليها. فتحت عينيها ببطء وحذر لتسمع "چاك":

- هاللو!

- ماذا تفعل هنا ؟

- جئت لتغيير ملابسي .. هل تريدين "دشا"؟

نظرت إليه في ارتياب . كانت هناك منشفة على كتفه . سالته :

www.rewayna.com

- وأنت ؟

- نعم . ولكني ساخذه . بعدك.

قالت له متهكمة:

- أنت طيب جدا.

- إنني اكثر من رائع، وسترين الكثير.

- لاأريد أن أعرف الكثير عن طيبتك.

- كيف حالك هذا الصباح؟

إنها لاتحس هذا الصباح إلا بوجوده، وانها توشك أن تنفجر . لقد غزتها حرارة عارمة. إن "بيرما" تفقد تسلسل افكارها عندما تحس به بالقرب منها، وتسمع صوته وحركاته . إنه أستاذ في الإغراء، ولذلك اطلقت عليه لقب "الزعيم". همست بانفاس لاهثة:

- يجب أن نتوقف عن لعبة القط والفار هذه. لقد بدأت افقد كل ما لدي من طاقة واسلحة. إنني لم احس في حياتي بمثل هذا العجز .. لقد فقدت سيطرتي على نفسي، ولم أعد سيدة قراري.

- أتعرفين لماذا؟! .. لأن ما بيننا شيء خاف، وفريد .

- نعم . بل هو أكثر من ذلك . إنني لم يسبق أن أحسست بمثل هذه العاطفة القوية قط.

- كيف هذا ؟ لقد سبق لك الزواج اربع سنوات. الم تشعري بذلك مع زوجك حتى في الأيام الأولى من الزواج؟

- كيف يمكنني أن أشرح لك ؟ إن الأمر دقيق .لم يحدث شيء بيننا.

-اتمنى الا اقابل ذلك المخلوق قط.

-لم تكن الغلطة كلها منه. إن الزواج زاد من تفاقم المشاكل التي واجهناها في البداية . لقد كان "الان" يختلف تماما عني . إنه كان النسخة العكسية لي ويمكن أن تسميه "مضاد بيرما". فعندما أكون

عصبية يكون هو هادئا . وعندما اريد منه ان يامرني، ويتحكم فيّ يكون هو مليئا بالعواطف التي لا أستطيع الاستجابة إليها . لقد فكرنا اننا عندما نتحد بالزواج، نستطيع أن نتغير . للأسف! لم تكن الحياة بهذه البساطة. وكلما مر الوقت قلت ثقتي بنفسي وفي مستقبل زواجنا. لقد صار هو صامتا ومغلقا على نفسه . لقد تحول إلى نساء أخريات، ربما ليتاكد من رجولته .

ترددت ضجة اقدام في الدهليز، وقفت أمام الباب، حيث همست "إيلينا" من ثقب المفتاح:

- إذا كنتما ستاخذان حماماً فاسرعا قبل أن تستيقظ "اليكساندرا".

ارتسمت ابتسامة على فم "چاك".

###

وصلت "بيرما" آخر من وصل إلى المائدة. جلست على مقعد مطبخ، وصبت لنفسها حبوباً ولبنا، وهي تتجنب النظر إلى "چاك" . إنها لاتعرف أين مكانها بعد أن قصت عليه كل حياتها. قفزت حبة من الحبوب لتسقط على كتفها .

يا إلهي ! ها هي حبة ثانية، وأخرى، وغيرها .إن تلك الحبوب تتفجر. لمست إحدى شظايا الحبوب جبين "اليكساندرا" التي صاحت :

- لقد اطلقوا علي النار. هناك من يطلق علي النار ! .

اختفت "إيلينا" تحت المائدة وهي تزمجر:

- إنها ليست طلقات نارية، وإنما الحبوب !

سارع "چاك" برفع السلطانية، وغطاها بطبق وهو في دهشة.

- انظرن .. إن هذا لايمكن أن يحدث أبدا .

سالته "بيرما":

- ما هذا ؟

- هذا غريب .لابد أنني أخطات في الوصفة. أخذ علبة الحبوب، واتجه إلى كهف الخزين . هزت "اليكساندرا" راسها :

-لقد كان الملجا أكثر هدوءا وأمانا من هنا .

قالت "إيلينا" - وهي تتذكر وترفع الحبوب من شعرها-:

- نعم .. ولكن كم كانت هناك من متاعب وضجر.لم يكن هناك سوى العجائز.

أضافت "جيسي" :

- ثم إننا سعيدات هنا .

نظرت "بيرما" بإمعان إلى باب كهف الخزين وهي تتساءل: ما الذي يحدث ؟! نهضت من أمام المائدة لتتبع "چاك" .. سالت من أعلى السلم:

- هل يمكنني الدخول ؟

- على مسؤولتيك إذا تعرضت للخطر والهلاك.

كان الكهف واسعاً، ومليئا باشياء من كل نوع: ألواح تزحلق وإطارات، وماكينات لنماذج الطائرات معلقة في السقف، والجدران عليها رفوف، رصت فوقها الزجاجات، وأجزاء إنسان، آلي، وقطع غيار "للكمبيوتر"، وأجولة قمح وشعير وأرز، ولعب في كل مكان، وعرائس ممزقة، ودببة من المخمل، وإسفنج صناعي، وقباقيب تزحلق على الجليد وأخرى بها عجل يعمل بـ"محرك"، والعاب الغاز . كان "چاك" جالسا خلف مكتب ضخم من الخشب، وهو ينظر في إمعان إلى زجاجة مكسورة فوق سلطانية حبوب. وقفت "بيرما" خلفه:

- لدي إحساس بانني "أليس" في بلاد العجائب.

- إن اللعب لاتخصني كلها . بعضها ملك أولاد "كاثرين"، وأنا أقوم بإصلاحها . والطائرات ، والأطباق الطائرة، والإطارات، ملكي، والباقي لها .

- لقد أخبرتني أنك لاتملك لعبا.

اعترف:

-لقد كذبت.

- هل تكذب علي كثيرا ؟

استدار "چاك" ليواجهها:

-نعم عن عمد . إنني لم أقل لك - قط- لماذا أحبك كثيرا، ولهذه الدرجة . هل تريدين أن تعرفي ؟

ردت عليه بطريقة آلية:

-نعم.. أوه.. لقد قصدت أن أقول: لا .

-هيا، استقري على رأي.

جلست "بيرما" على مقعد دراجة ضخمة بثلاث عجلات .

- هيا، أخبرني .. أنا مستعدة.

- حسنا .. هانذا .. نحن سنتزوج، ونشتري بعض الكلاب، ثم ننجب أطفالا. مائة منهم.

قفزت "بيرما" .. من فوق الدراجة:

- انت مجنون .

-حسنا .. حسنا .. ليس مائة، وسنناقش الأمر. في الحقيقة يكفينا واحد أو اثنان.

-لا.. على جثتي ! إنني لاأريد أبدا أن أتزوج مرة ثانية . مرة واحدة تكفي . وحتى لو رغبت، فإن ذلك لن يكون بك.

كانت تكذب . سالها و هو يتظاهر بانه أهين:

- ولم لا ..؟ ما الذي يعيبني لهذه الدرجة؟

- لا شيء. وهنا تكمن المشكلة . فليس لديك ما يعيبك.

- حاولي- إذن- أن تكوني واضحة.

اخذ يتطلع إليها بنظرة قاسية. ردت عليه:

- ليس لدي وقت للزواج. يجب علي أن أذهب لإعداد "البيتزا"، وغسل الأرضية والأفران، ودراسة تاريخ الفن .. هل يمكنني أن آخذ "الميني باص"؟

-لا.. ساقودها انا واصحبك إلى هناك. وهذا يمنحنا وقتا اكثر للمناقشة.

قالت ضاحكة:

-ولكن.. ولكني لااريد المناقشة!

نزل الليل، و"چاك" و"بيرما" جالسان في "الميني باص" أسفل عمارة لاتزال تحت الإنشاء . قالت "بيرما":

- انا التي ستقوم بتسليم هذه "البيتزا".

قال بإصرار:

- اه .لا .. انا الذي سافعل. إنها الساعة العاشرة والنصف مساء. ونحن وسط حي مشبوه، ولن ابقى هنا انتظر ان يهاجموك . سأذهب.

قالت بإلحاح:

- لقد سبق أن عشت هنا.

قال وهو ياخذ علبة "البيتزا" ويفتح الباب :

- كل بدوره .وهذا دوري لأعيش هنا . اغلقي الباب بمفتاح الأمان من الداخل بعد خروجي.

- ستسلم هذه "البيتزا" عندما يطلع للدجاجة أسنان .

قال لها وهو يصفق باب السيارة:

- ستحصلين على اكثر من دجاجة بلا أسنان .

سبت "بيرما" ولعنت وهي تتبعه إلى داخل العمارة.

- اوه ! إنني لاأطيق أن اتلقى الأوامر . إنها "بيتزاي"! وهو يقول

إنني ساتزوجه ! ها ها .. يمكن أن تجري ماعن لك الجري ..

لحقت به في اللحظة التي تسلم فيها ثمن "البيتزا".

صاح موجها الكلام إلى الزبون:

-إنها مجنونة بحبي! إنها تتبعني في كل مكان. أعرف ما تحسين به من الم عندما تفترقين عني ياعزيزتي، ولكن كان من الممكن أن تنتظريني في السيارة.

خرج "چاك" وأخذ يبحث عن سيارته في الشارع المهجور :

- ولكن أين السيارة؟

السيارة ! لقد اختفت السيارة بكل بساطة . كانت الساعة الواحدة صباحاً تقريبا، عندما وصل "چاك" و"بيرما" اخيرا إلى المنزل . ذهبا في صمت إلى المطبخ؛ ليعدا مائدة ضخمة من البيض ، والسمك المدخن، والفراولة، والچيلاتي بالڤانيليا . قال:

- عزيزتي ؟

- ماذا ؟

-لاباس. ساستاجر "ميني باص" آخر غدا.

كانت الشرطة متعاطفة تماما .، على اية حال لقد كانت هذه السيارة الثانية التي سرقت منه خلال أسبوع . قالت "بيرما":

- في أقل من ثمانية ايام فقدت سيارتي الچيب، وسرقت سيارتان بسببي، واحترقت شقتي وكانها تعرضت إلى الشي . أتظن أن هذه علامة؟

هز "چاك" كتفيه وقال :

-هذه طريقة من الطرق لرؤية الأمور فلسفيا.

- وما الطرق الأخرى ؟

- لقد حصلت لنفسك على صديق.

www.zahedyna.com

ابتسمت "بيرما" في انفعال، وقالت معترفة:

-نعم .. هذا صحيح.

احست بالدموع تملأ .. عينيها ..

###

بينما كانت "بيرما" تمضغ آخر ثمرة فراولة، عاد إلى ذاكرتها الحديث الذي تبادلته مع "چاك" في قبو المخزن . هل كان "چاك" جادا؟

قالت في نفسها : " لا .. لايمكن أن يعلن الرجل- بهذه الطريقة- عن رغبته في إنجاب أطفال ، عندما يطلب يدها للزواج!" لقد كان أمام "چاك" الوقت الكافي ليشرح نفسه داخل السيارة. ولكنه لم يطرق الموضوع. احست بالخيبة، وهو ما يقلقها حقا. قررت الاتقع في حبه.

امسك "چاك" بيدها وقبلها في حنان. تخلصت "بيرما" من قبضته وحذرته:

-لاتقبل يدي أبدا.

- موافق . اين تحبين أن أقبلك؟

-ليس في أي مكان.

عاد وامسك بكفها وقبل راحتها. صاحت:

-كف عن هذا !

-إنك لازلت تلعبين لعبة القط والفار.

عندما اخذت ترفع المائدة، احست فعلا بعدم الارتياح . ليست لديها الخبرة المطلوبة لمثل هذه المواقف. إنها سريعة الانفعال، وهي ضعيفة أمام انجذابها .

انفتح باب بالدور العلوي وهو يصدر صريرا، ثم سمعت أصوات قدمي إحدى النساء وهي تجري في الدهليز بطوله . قال "چاك" وهو يرفع آخر طبق:

-أراهنك بخمسة دولارات: إنها "اليكساندرا". إن صوت قدميها يتميز بالسلطة.

-إنها تراقبك.

-أعرف . إنها تمتلك رادارا مدمجاً، يكشف عن كل حركاتنا . ما رايك في أن نختبر مدى فاعليته؟ وهل هو يعمل بكفاءة أم لا ؟

لا.. إنها لن تسمح له بأن يستغل الفرصة.

قالت له :

- تصبح على خير .

كان ينظر إليها في هيام ، وهي تقاوم الرغبة في أن تستجيب له. اطلقت آهة رغما عنها. انفتح باب الحمام في الدور الأول، وسمعت - ثانية- صوت قدمي "اليكساندرا"، التي صاحت :

- من هناك ؟

أجاب "چاك":

- ليس هناك أحد سوانا يا "اليكساندرا"! إننا ناكل لقمة ثم سننام.

- إن الوقت متاخر. والفتيات المهذبات من العائلات المحترمة لا يسهرن خارج السرير إلى هذه الساعة.

زفر "چاك" :

- إنني أبذل أقصى ما لدي .

قالت "اليكساندرا" بلهجة محددة ذات معنى :

-بمفردك ؟

قال لـ"بيرما":

- لماذا لم تتبني عجائز صماوات وبكماوات ؟!

الفصل السادس

غطت "بيرما" وجهها بالأغطية وهي تهمهم:

- الآن ها هو يبدأ من جديد ككل مرة. ياله من رجل استعراضي

بدأت تسمع صوت فتح ابواب الدولاب وادراج التسريحة بطريقة تثير الأعصاب. أوشكت أن تختنق. صاحت:

- هل انتهيت من ارتداء ملابسك؟

- حسنا يمكنك ان تري بنفسك.

لم تكن "بيرما" تحس بالحاجة لأن تنفذ كلامه لأنها كانت متأكدة من انه لم ينته بعد. أحست بالرعدة تسري في جسدها. سألته في غيظ:

- لماذا يجب أن ترتدي ملابسك في حجرتي؟

- لأنها ايضا حجرتي، وكل ملابسي موجودة هنا. ثم لأن صديقاتنا اللدودات يحتللن الحمامين، وانا متعجل هذا الصباح. واخيرا لأنني أحب أن اتحداك - خاصة وان "اليكساندرا" موجودة في الجوار تمارس

هوايتها في التجسس.

كان مرتديا بنطلونا رصاصياً من صوف "الفانيلا". وقميصا مقلماً بخطوط وردية. تابعته "بيرما" بعينيها وهو يفتش في دولابه. سألته:

- هل تريد حقا أن أشاهدك؟

- نعم.

- ولم يكن هذا ليضايقك لو فعلت؟

قال وهو يربط رباط عنقه:

- بل كان سيضايقني. ما رأيك؟ هل يبدو علي مظهر المعلم الحقيقي؟

فكرت انه يبدو في مظهر عارض الأزياء أكثر منه معلما. جلست في السرير، وحاولت ان تسكت قلبها الذي كان يدق لدرجة انه كان يوشك أن ينفجر، على أية حال- هذا ليس بالرجل العادي، ببنطلونه الرصاصي، وقميصه جميل التفصيل.. نعم إنه غير عادي -خاصة- وجسمه الرياضي يثير الانتباه. نعم. إنه رجل غير عادي، وإلا لما دق قلبها بهذه الشدة. إنه مذهل، وهي تندم لأنها لم تره قبل ذلك بزمن طويل.

قالت تجامله:

-أنت جميل جدا، وأي تلميذ سيفخر بأن تكون مدرسه.

قال وهو ينحني في أدب:

-شكرا يا آنسة! إن وكالة تأجير السيارات ستسلمك السيارة الجديدة في الساعة الثامنة.

سمعته "بيرما" وهو ينهب السلالم عدوا. سارعت إلى النافذة حتى تراه لآخر مرة، ولكنها لم تشاهد سوى باب سيارة الأجرة وهو ينغلق. إن ذكرى هذا المشهد الصباحي ستصحبها عندما تنزل إلى مائدة الطعام، لاحظت- لأول وهلة -الصمت يخيم على المكان، بينما النساء

الثلاث يتاملنها بإمعان. سألت :

- ما الذي حدث لكن؟

همهمت النساء الثلاث:

-لاشيء .

لاحظت "بيرما" أن الأطباق والأكواب نظيفة.

- ألم تتناولن شيئا ؟

-فيما بعد ... ربما ..

اعدت "بيرما" لنفسها سلطانية حبوب، ثم تسمرت في مكانها -فجاة- في اللحظة التي همت فيها بصب اللبن . نظرت إلى العلبة وفحصتها، ثم فحصت محتواها. قالت معلقة:

- إن كل شيء يبدو لي عاديا .

قالت "إيلينا":

- خذي حذرك وانت تصبين اللبن.. لقد اضعت ساعة بالأمس في غسيل شعري.

قالت "بيرما" معلقة وهي تصب اللبن ببطء قطرة قطرة في سلطانيتها:

- إنه أمر يدعو إلى السخرية.

مالت النساء الأربع للخلف، في ترقب رد الفعل لعملية صب اللبن على الحبوب . صاحت "بيرما":

- اترين ! إنها حبوب عادية تماما.

تنهدت "جيسي" في ارتياح:

- يا إلهي يارحيم ! إنني اشعر بجوع الذئاب.

صبت "اليكساندرا" الشاي، وعلقت "إيلينا":

- هذا فعلا طعم الشاي الحقيقي.

اضافت "اليكساندرا":

- نعم . هذا شاي على ما أظن.

تاوهت "إيلينا".

-لست ادري إن كنت احس بالخيبة. على أية حال ساستيقظ صباح غد في نفس وقت استيقاظ "چاك"، وساتناول طعام الإفطار معه ، وساجعله يتذوق كل شيء قبلي .

###

صبت "بيرما" عجينة صلصة الطماطم على قطعة العجين المفرودة، ثم غطتها بجبن "الموزاريل" . وبينما تصب زيت الزيتون، سمعت الباب ينفتح . كان "چاك" وذراعاه محملتان بالمؤن، يتبعه رجل متوسط العمر يحمل هو أيضا كيسا . رات بطرف عينيها "إيلينا" تمسح يديها في مريلتها، وتسوي شعرها .

وضع "چاك" الاكياس فوق مائدة التسليم، واخرج منها أربع علب سلطة جاهزة .

سال :

- اين "اليكساندرا" و"جيسي"؟

- إنه يوم إجازتهما .

اشار إلى مقعد، وقال للرجل متوسط العمر:

-اجلس يا "ميشا" . ينقصنا شخصان.

وستتناول الغداء معنا . "بيرما" و"إيلينا": اقدم لكما صديقي الطيب "ميشا شمكين".

قالت المراة العجوز وهي تمد له يدها:

- سعدت بمعرفتك.. انا "إيلينا" . هاك شوكة . هل تحب أن تذهب إلى السينما بعد ذلك؟

رفعت "بيرما" حاجبيها دهشة، وقالت لـ"چاك":

- هل يمكنني أن أحدثك على انفراد؟

تبعها "چاك". سالته:

- ما الذي تفكر فيه بالضبط؟

- في تنظيم المشتريات.

-أنا لاأقصد هذا. ولكن .. ما هذا ؟ علب من الزبادي والبرتقال والتونة؟

- لابد أن تاكلي.

-إنني أعتني بنفسي طول الوقت.

-أنت تمارسين علي تاثيراً مفيدا أصبح كالاضطهاد. انا لم أعد افكر إلا فيك.

- كف يا"چاك". هل هذا ممكن ؟

حاولت "بيرما" أن تركز على عملها، ولكنها نسيت تماما. المفروض أن تعمله . هل هو موضوع التونة؟

لا.. في هذه الأثناء قدمت "إيلينا" الماء إلى "ميشا" ليشرب . وقالت له:

-يمكننا أن نذهب لحفلة منتصف الليل بالسينما. إذ قبلها لابد أن أساعد "بيرما" في إغلاق الحانوت .

قال "چاك":

- هيا اذهبي يا"إيلينا". وساساعد "بيرما" في غلق الحانوت .

طبع قبلة على جبينها فقالت لـ"ميشا":

-إنه يعشقني ولكنه خجول . انت تعرف النساء..

وضعت "إيلينا" خيوط وإبر "التريكو" في، حقيبتها، وحملتها، ثم علقت بصوت هامس:

- إنها حمقاء تماما . إنها لاتنتهز الفرص.

قال لها "ميشا" وهو يغمز لها بعينه:

-ليست مثلك يا"إيلينا" . لاتنتظرونا يا أولادي!

قالت "إيلينا" في دهشة عندما خرجا:

- ما الذي يعنيه بهذا القول؟

-إنه يعني أن سهرتهما ستسير على مايرام وأن علينا الا ننتظرهما.

-إن هذا العابث عينه على "إيلينا"!

-إنك تتصرفين تماما مثلما تفعل "اليكساندرا" معنا.

-إذا حدث شيء للمسكينة "إيلينا" فستكون انت المسؤول.

- أنا .. الصحيح أن علي أن أقلق على "ميشا"!

اخرجت "بيرما" عددا كبيرا من "البيتزا" من الفرن، ووضعتها في علب الكرتون . سالته :

-هذا الـ"ميشا" من هو بالضبط ؟هل تعرفه من وقت طويل ؟

تلعثم "چاك"وهو ينظر إلى ساعته :

-أوه! لقد قابلته من خمس وعشرين دقيقة في "السوبر ماركت". لقد خصصته في الحقيقة لـ"اليكساندرا" . غدا ساقوم بجولة في قسم المجمدات . إنه مكان مناسب لمقابلة العزاب .

صاحت فيه "بيرما" في ثورة غضب :

- متامر وخاطبة ! أعرف ماذا تريد . انت تحاول أن تخلصني من سيداتي العجائز، حتى تاخذ حريتك.

-نعم.

- وتعترف بذلك؟!

-إن "إيلينا" و"جيسي" و"اليكساندرا" نساء رائعات وهن على قيد الحياة، ممتلئات حيوية وذكاء .. ووحيدات .. ولايحتاج الأمر أن يكون المرء عبقريا ليفهم أنهن من حين لآخر يحتجن إلى صحبة الرجال ، ولا

يجب -أبدا- أن يكون الإنسان عبقريا ليفهم . إنني لن أستطيع أن أسحرك وأجعلك تقعين في حبي، مادامت "اليكساندرا" موجودة في الجوار. لقد حاولت أن أجد حلا لمتاعبنا.

اعترضت "بيرما":

- ليس لمتاعبي، إن مشكلتي الوحيدة هي التخلص منك . لقد كنت في أحسن حال قبل أن أقابلك. كنت أعرف بالضبط أين أذهب وأين أضع قدمي . لقد كان لي هدف واتجاه . والآن لدي تلك العواطف والرغبات التي تزعجني .

كان "جاك" سعيدا وهو يسمع هذا الكلام.

- هل هذا صحيح؟

- أنا لاأريد تلك العواطف . أريد أن أدرس تاريخ الفن .. هل تفهم هذا؟

سألها "جاك" وهو يقترب منها :

- أي نوع من العواطف والرغبات ؟ احكي لي .

- لن أفعل أبدا.

- هل يجب علي أن أعذبك حتى تتكلمي ؟

ظلت "بيرما" متخشبة في مكانها . إنها لاتستطيع أن تفهم أبدا ما الذي تحس به، ولكن الأمر الذي هي واثقة فيه، هو أن هذا الرجل القريب منها هو قنبلة من السحر والفتنة.

سألته بعد أن استعادت القدرة على الكلام:

-أين سلطتي؟

انفجر ضاحكا، وقال مؤكدا:

- تستطيعين دائما أن تختبئي، ولكنك لن تهربي مني.

- غدا ستكون شقتي جاهزة بعد إعادة طلائها ووضع "الموكيت" الجديد. وحتى يتم ذلك سأحاول أن أشغل ذهني . لدي ما يكفي بالضبط

لعمل "البيتزا"، ومتابعة دراستي.

- ها..

كانت كلمة مليئة بالمعاني الخفية، ولاتدل على أي إحباط، ولاحتى مجرد شك، ولا حتى على قليل من الخوف . إنها كلمة مليئة بالاكتفاء والرضا.

###

أخذ المطر يضرب نوافذ العرض في مطعم "صندوق البيتزا"، ويغمر المحل في ظلام كئيب . كانت الأفران تدفئ ظهر "بيرما"، ولكن أنوار "النيون" لم تمح أي شيء من جو الحزن الذي يثيره شهر إبريل .. انفتح الباب، ودخل رجلان وهما يمسحان أقدامهما في ممسحة عتبة الباب . كان أول رد فعل لهما هو تشمم هواء الحانوت . قال أولهما :

-لوكنت مكانك لوضعت سريري هنا . إن الرائحة شهية. سألت "بيرما" وهي تقدم لهما قطعتي "بيتزا":

- هل انتهيتما ؟ هل تم تركيب "الموكيت" ؟

قال الرجل الثاني:

- نعم . لم يسبق لي في حياتي أن شعرت بالراحة بعد الانتهاء من مكان مثل إحساسي بعد الانتهاء من هذا المكان المزعج ، لا تأخذي الأمر بمحمل سيئ، ولكن بصراحة إن شقتك رائحتها سيئة.

بدا الإحراج على وجه "بيرما" رغما عنها، وقالت:

-لقد وقع حريق بها . وقمنا بالإصلاح.

- ولكن أي نوع من المواد استخدمتها في إعادة الطلاء .. إن رائحتها مثل رائحة جلد الحذاء العفن. أيده الرجل الآخر:

- بل أفظع.

قالت :

-لابد أن أنادي "إيلينا" و"جيسي". وأعود في الحال.

عندما وصلت رأس السلم، بدأت عيناها تؤلمانها من رائحة الطلاء و"الموكيت"، وتلك الرائحة الأخرى .. نعم. لقد كان العاملان على حق .. لقد كانت الرائحة خانقة ومقززة. ومع ذلك كانت الجدران بيضاء، والموكيت من أحسن نوعية، والنوافذ تضوي لمعانا. ثم إنها ستشتري أريكة وستائر جديدة من أموال التامين . سمعت "بيرما" صوت أقدام، فاستدارت لترى "چاك" وقد ابتسم في لهفة. ولكن سرعان ما تجهم وجهه. وقال :

- ما هذه الرائحة الفظيعة؟

أخذت "بيرما" تصرخ:

- شقتي ! كيف يمكنني أن اعيش هنا ؟

- لاتقلقي، فإن هذه الرائحة ستزول .لابد أنها خليط من رائحة الطلاء و"الموكيت" الجديد.

اجتاحت "بيرما" رغبة في البكاء .لابد أن تهرب من"چاك". إنها لم تعد تتحمل أن تعيش في بيته، وتستخدم حمامه .

قال"چاك" معلقا:

- يبدو عليك الانشغال . بل اليأس .

لقد كانت الكلمة الأخيرة هي الاصطلاح الصحيح لوصف حالتها ، ولكنها ارادت الا يعلم ذلك.

-ولكن لا.. أنا محبطة فقط . لقد كنت أنوي أن انتقل إلى الشقة اليوم.

- من الواضح أن هذا مستحيل . يجب أن تظلي وقتا أكثر عندي.

- ربما زالت الرائحة غدا.

- نعم . إذا كف المطر، ويمكنك فتح النوافذ وإلا ..

- إن هذه الحالة تسعدك على مايبدو.

- إنني أحب وجودك بجواري.

- إن لك طريقة رهيبة في التلاعب بالألفاظ يا"چاك سوبر".

سألها- وومیض ماكر في عينيه-:

- وأنا أحلم .. ألا تحلمين أنت ؟

- لا. بالتأكيد- أنا لم أحلم أبدا.

قال مؤكدا وهو يربت على كتفها :

- إذن أنت بلهاء ، كيف حال العمل اليوم؟

أين ذهبت "أليكساندرا"؟

- إنها ليست موجودة بعد ظهر اليوم. إن الوردية على "جيسي" اليوم.

سألها "چاك" وهو مندهش تماما:

- إنها مؤامرة ؟ لقد أخبرتني بانها تعمل اليوم .

- ولكنها طلبت من "جيسي" أن تحل محلها ..

لماذا كل هذه الأسئلة؟

- هيا. خذي معطفي. وهيا بنا نهبط .

لم ترفع "جيسي" عينيها عندما دخل "چاك" و"بيرما" المطعم . كانت تعلم رجلا متوسط العمر فن صناعة "البيتزا". قالت للرجل تجامله:

- ولكنك موهوب جدا!

- لقد كنت أعمل طاهيا في البحرية. بعدها أصبحت جزارا . واقمت محل الجزارة الخاص بي خلال أربعين سنة . لم يكن من الواجب أن أحيل نفسي على المعاش. لقد كنت أنا وزوجتي ننوي القيام برحلات. ولكنها ماتت قبل أن نتمكن من عمل أي شيء.

همست "جيسي" في رقة:

www.zahrawyna.com

-أنا آسفة من أجلك!

-وأنا أشكرك.

نظرت "بيرما" إلى "چاك" بعينين جاحظتين.

قالت تتهمه:

- أنت أيضا المسؤول عما يحدث أمامنا !

- لقد كان مخصصا لـ"اليكساندرا".

- هل تفكر في أن تزوج "اليكساندرا" لهذا الرجل؟ إن له شاربا!

وضعت "جيسي" "البيتزا" في الفرن، وأشارت لـ"بيرما" أن تقترب.

-"بيرما" أقدم لك "كليم فورست" . إنني أريه كيفية عمل "البيتزا".

حياها الرجل وهو يمد لها يده:

- يومك سعيد يا آنسة "ناديني كليم" . أنا صديق لـ"چاك".

قالت "جيسي" بمرح:

- لقد هبطت علينا طلبات التسليم بالجملة . إن أحدا لايريد أن يغادر منزله ليتناول الطعام بالخارج . نادى "چاك" "بيرما" وهو يكوم الكراتين فوق ذراعيه:

- تعالي يا "بيرما" ! أنت تقودين السيارة، وأنا أقوم بالتسليم.

سألت "بيرما" :

- ولكن أين "إيلينا"؟

أجابت "جيسي":

-لقد رحلت لتوها .. إن لديها موعدا.

قال "كليم":

-لاتقلقي على شيء يا آنسة "ساساعد "جيسي" لحين عودتك.

سألت "بيرما" "چاك" هامسة:

- ولكن من هذا ؟ أحد اكتشافاتك في "السوبر ماركت"؟

أجاب "چاك":

-إنه حمو أختي.

-أوه !

جلست "بيرما" وراء عجلة القيادة، وانطلقت بالسيارة. كان المطر ينهمر على سقف السيارة، والسماء سوداء. سألت:

-أول محطة؟

-شارع "سارلي".

دهشت "بيرما":

-ولكن هذا بعيد جدا. أليس هناك ما هو أقرب؟

-نعم ليس هناك ما هو أقرب.

فكرت "بيرما" في أن هذه ليلة متعبة أخرى. كما هو المتوقع من بدايتها . كم هو صعب الحصول على لقمة العيش .. إن الأمر يتطلب قطع كيلو مترات وكيلو مترات طويلة .. ثم إن الأرباح أصبحت ضئيلة أمام كل هذه الطرق التي تذرعها في الذهاب والعودة.

استرخى "چاك" في مقعده في سعادة لما يتمتع به من حظ . لم تستطع "بيرما" أن تمنع نفسها من التفكير . إن الحياة أحيانا تكون مقبولة بالقرب منه. بل أكثر من مقبولة: إنها ممتعة . كم هي غريبة الحياة وتصاريف القدر . عند وصولهما إلى شارع "سارلي"، أخذ "چاك" يتأمل أرقام البيوت . قال وهو يحمل علبة "البيتزا":

- إنه على اليسار.

أغمضت "بيرما" عينيها. وعندما عاد بعد فترة كان مبللا بمياه المطر . إنه لم يقبل منها- قط- أي مرتب، ومع ذلك كان يعمل معها كل الأمسيات بعد عودته من المدرسة بدأت تعتمد على خدماته. الأمر الذي ضاعف من شعورها بالذنب ، وفي نهاية عملية التسليم الثالثة لم يضع "چاك"

قلنسوة المعطف على راسه قبل النزول من السيارة ، وبعد التسليم الخامس خلع حذاءه ورفع طرفي البنطلون حتى الركبة .

وعند التسليم السابع كان الظلام قد حل . صاح "چاك" :

-يكفي هذا . ولنعد . لن أسلم شيئا بعد الآن.

احتجت "بيرما":

- ولكن بقيت واحدة للتسليم.

- وأسفاه ! عليهم أن ياكلوا أي شيء. أنا أشعر بالبرد، وغارق في المياه، وكل شيء أصبح غير مقبول . إنك لاتحصلين على أية أرباح من التسليم للمنازل .

- ولكني أسلم باستمرار..

- لن تسلمي بعد الآن . سنعود إلى البيت، ولابد أن أحدثك.

سالته:

- عن أي شيء؟

-سنتحدث عن "صندوق البيتزا"، وعنا نحن .

-ولكن ليس هناك ما يستحق الحديث عنه . إن المطعم يسير على ما يرام. أما بالنسبة لنا - نحن الاثنين- فانت لطيف جدا، ولكن ..

كرر كلامها:

-لطيف ؟ هل تعتبرينني لطيفا؟

-حسنا .. نعم.

-لقد كنت لطيفا مع سيداتنا الثلاث العجائز ، ولكني لم أكن قط لطيفا معك . إنني لاانتظر سوى رحيل "اليكساندرا" حتى أحظى بعشر دقائق معك بمفردنا. إنني لاأكون معك بمفردي، إلا وقت تسليم "البيتزا" وهذا لايمكن أن أصفه بلقاء عاطفي . فإما أكون منهمكا في قراءة العنوان وتسليم العلبة، وإما تكونين نائمة.

-أعرف جيدا، ولا أكف عن تكرار انه ليس لدي وقت كاف .

-انت لاتريدين ان تاخذي الوقت الكافي . إن لديك خوفا رهيبا من أن تقعي في الحب منذ أن فشل زواجك الأول . هيا، دعي الأمور تسير على هواها يا "بيرما" . امنحي نفسك فرصة ثانية .

-انت لاتفهم.

-إنك تعتبرين الحب مرضا عضالا.

قالت "بيرما" وهي تركن السيارة:

-إنني أشعر بالذنب؛ لأنني لم أسلم هذه "البيتزا".

-أنا لا أشعر بذلك . إن هؤلاء الذين طلبوها لابد أنهم أكلوا شيئا آخر من وقتها . وبهذه الأمطار قضينا اكثر من ساعتين لتسليم سبع قطع . واقترح عليك أن تسخنيها وتاكليها.

فتح لها الباب وقال:

-سأعود . حالا ، بعد أن آخذ حماما ساخنا وابدل ملابسي.

أخذت "بيرما" تذرع المطبخ مائة مرة .إن "چاك" يخطئ . إنها لاتقبل أن تقع في الحب لأن لديها أولويات : مشروعات .. مشروعات بدأت تحتقرها بسبب "چاك". سمعت صوت الماء يتوقف . لقد خرج "چاك" من الحمام . كتبت كلمة تقول فيها:

إنها ذهبت لتنضم إلى "جيسي" في "صندوق البيتزا". هل هي تهرب؟ هي تهرب ؟ كيف؟

###

دخلت "بيرما" على أطراف قدميها . كان الوقت منتصف الليل . لوحالفها قليل من الحظ فلن توقظ أحدا. عبرت الحجرة في هدوء وعيناها على الأرض، ثم كتمت صيحة عندما تعثرت في "چاك" . قال لها بصوت رقيق وكسول:

-لقد تاخر الوقت.

- لقد رحلت "جيسي" و"كليم" مبكرين، واضطررت لأن امكث لانظف الأفران.

- وهل هناك احد بالخارج؟

-ربما "جيسي".

سمعا صوت الباب، ثم أصواتا أخرى:

-"جيسي". انا اشكرك على هذه الليلة اللذيذة.. لم يستطيعا أن يميزا رد "جيسي"، حيث ساد صمت طويل. صاحت "بيرما":

- اتظن انهما ...

- إن ذلك العجوز لديه حظ اكثر مني .

سمعا صوت قدمي "اليكساندرا" التي لايمكن ان تخطئها الأذن من بين الاف الاقدام الأخرى.

ثم اضيء نور الصالون .قالت "جيسي":

-"اليكساندرا". اقدم لك "كليم فورست". لقد كنا فقط نتمنى ليلة سعيدة لبعضنا البعض.

-رجل له شارب؟

زفرت "جيسي":

- أليس رائعا؟!

سمع صوت غلق باب سيارة، وبعد قليل دخلت "إيلينا" و"ميشا" الحجرة .قالت "إيلينا" في دهشة:

- كيف هذا ؟ الا تنامون أبدا ؟ كيف يمكن للإنسان أن ينفرد بنفسه دقيقتين دون وجودكم هنا حوله كالذباب؟

امسك "كليم" بذراع "ميشا" وقال :

-لقد حانت ساعة الانصراف.

خرجا وكان الشيطان في أعقابهما .

تنهدت "إيلينا" في أسى:

- وهانت فعلتها معنا يا "اليكساندرا". لقد جعلتهما يفران.

قالت "اليكساندرا" تبرر ما حدث:

-اعتبرا ذلك اختبارا لصدق مشاعرهما . إذا كانا يحبانكما بإخلاص فسيعودان.

قالت "جيسي" مقترحة وهي تبتسم:

- هيا بنا إلى المطبخ لنتناول شيئا .لابد أن أحكي لكما ..

www.zahrawyna.com

الفصل السابع

أخذت "بيرما" تحتسي عصير البرتقال وهي تحدج "چاك" بطرف عينها . كان يحدق إلى قهوته وهو تائه في أفكاره ، وقد قطب ما بين حاجبيه، مما أعطاه مظهرا أكثر قتامة عن المعتاد . ومع ذلك كان أكثر جاذبية. لقد نجحت "بيرما" في تجنبه منذ لقائهما الأخير في المطبخ . كانت في حاجة إلى هدنة حتى تستطيع أن تعيد ترتيب أفكارها وعواطفها. إنها منذ لقائهما لم تكف عن الحركة وتغيير مسلكها. كانت تشعر وكأنها مراهقة.

في البداية أبدت نحوه انجذابا جسديا قويا، هزمته كما هزمت أي عاصفة داخلية هوجاء. ولكنه كان يحمل بداخله قوة تجعلها تشعر بالسعادة يشوبها بعض الغرابة . إنه يحب العربات الفاخرة ولكن بيته كان دارا أسرية حقيقية، وهو ما كان -بالذات- يخيف "بيرما" . هل ستترك نفسها تقع في الفخ بكل سهولة؟ لقد كان "چاك" من نوع الرجال

الذين تحلم بهم كل النساء . ومع ذلك -عندما فكرت "بيرما" في كلمة ارتباط، أخذت معدتها تتقلص، وتسمع أصوات أجراس التحذير في أذنيها .

لم تلاحظ "إيلينا" انشغالها . كانت تتأمل البيضة العجيبة ذات الصفار بلون الفراولة والموجودة في طبقها. قالت:

- من يراها يظن أنها مربى .. نعم مربى !

أجاب "چاك":

-لا ليست مربى .

حاولت المرأة العجوز أن تضع سكينها فوق ذلك الشيء الذي سرعان ما انزلق للناحية الأخرى من حافة الطبق . كان لدى "بيرما" واحدة أخرى مشابهة ، ولكنها بلون أخضر سألت :

- هل انت واثق بانها تؤكل ؟

فزع "چاك" فوق مقعده وكان شاردا :

- طبعا . إنها تؤكل ! إنها طبيعية ومليئة بالبروتين .

- ولماذا لونها أخضر؟

- إنها خلاصة السبانخ..

وضعت "بيرما" ذلك الشيء على ملعقتها ونظرت إليه في تقزز، وقالت:

- وهذا .. كيف يؤكل ؟

مرر "چاك" أصابعه في شعره :

-آه .. هنا موضع التسلية..

قاطعته "اليكساندرا":

-إن لك ذوقاً غريبا عن معنى التسلية .

قالت "إيلينا":

- إن هذا لايبدو شيئا يصلح للأكل على الإفطار. في الساعة السابعة صباحا يكون الإنسان لديه- بصعوبة- رغبة في تناول إفطاره بالكامل.

نظرت "اليكساندرا" إلى ساعتها :

-إنها ليست الساعة السابعة، وإنما التاسعة والنصف. ونحن يوم السبت .

- وماذا في ذلك ؟ على أية حال إن الوقت مبكر.

نظرت "جيسي" باحتقار إلى "إيلينا".

- لو أنك تنامين في ساعات معقولة، لكنت في حالة أفضل تجعلك تستمتعين بالإفطار وبالصباح المبكر . ثم إن امرأة في سنك تظل متأخرة في الليل في صحبة رجل مجهول، فإن ذلك هو المقزز فعلا .. نعم مقزز جدا!

- ما الذي تقصدينه بامرأة في مثل سني ؟ إنني لم أحس بأنني أكثر شبابا إلا من وقت تعرفي عليه. أعتقد أنني عاشقة.

أخذت المرأة العجوز تدير ملعقتها في قدحها وهي شاردة . هزت "اليكساندرا" رأسها في تعجب :

-أنت .. إن الصامتين فقط هم الذي يعجبونك. مجرد فترتين أو ثلاث فترات صمت وهانت ترقصين في الشارع مرحا!

- إنه كما يحدث في ذلك المسلسل التليفزيوني - كما تعلمين- في تلك السفينة المسماة" سفينة الحب ". ففي كل رحلة بحرية تحدث قصة حب في كل حلقة .لقد وقعنا في الحب واحدة بعد الأخرى. "إيلينا" و"كليم". أنا و"ميشا" و"بيرما" و"چاك". صاحت "بيرما" تقاطع "جيسي":

-"بيرما" ليست عاشقة.

نظر إليها "چاك" في دهشة. بينما قالت "اليكساندرا":

- أوه! بل أنت عاشقة . أي شخص يراك يؤكد ذلك.

كزت "بيرما" على أسنانها وهي تغرس شوكتها في البيضة المزيفة. وأخذت تفحص بالسكين أعلاها وهي تعد نفسها أن "چاك" لو قال كلمة واحدة فستلقي في وجهه بطبقها . سألها:

- وكيف تعرفين أنني لست عاشقا؟!

-لأن الأمر يتطلب وقتا طويلا لنصبح عاشقين. ونحن لم نتعارف إلا من وقت قصير.

-آه .. نعم . أما أنا فأظن أنني أعرفك من زمن قديم.

احمر وجه "بيرما" .كانت ستقول شيئا، ولكن "اليكساندرا" لم تتح لها الفرصة:

- للأسف! لقد أفسدت من ناحيتي رحلة "سفينة الحب".

أحاطتها "إيلينا" بذراع حانية.

-لا تغضبي ياعزيزتي ! لابد أن "چاك" سيعثر لك على رجل بالتأكيد.

تخشبت "اليكساندرا" على مقعدها .

-لاأريد من أحد أن يجد لي رجلا . ولو أردت رجلا فساعثر عليه بنفسي ولا يضايقني على الإطلاق أن أعيش وحيدة .. لن يضايقني إطلاقا.

كان "چاك" واضعا كفيه خلف رأسه وهو يتارجح بمقعده، وقد علت فمه ابتسامة واسعة. أخذت "بيرما" تتطلع إليه، وهو يعرف ذلك. إن ذلك الرجل يبدو عليه مظهر الغازي المنتصر.

رن جرس الباب، وقفز الجميع في الهواء بمن فيهم "چاك"، الذي صاح:

-ياإلهي ! هذه المرة الأولى التي نجتمع فيها جميعا. تركزت عيون النساء الأربع على "چاك" وهويتجه ليفتح الباب، وتسلم من ساعي

البريد ظرفا ضخما، ثم ناول "اليكساندرا" إياه التي صاحت قبل أن تفتحه:

-لابد أن أحدا مات !

-لاأعتقد ذلك . إنه ظرف مسجل. يبدو مرسلا من وكالة رحلات!

رفعت "اليكساندرا" الظرف إلى عينيها، ثم قالت :

-لابد أنه أحد الإعلانات الملعونة من إحدى شركات السياحة اللحوح.

نزعت "جيسي" الظرف من يدها وفتحته بسرعة .

- نحن كلنا هنا متلهفون على معرفة ما به، وانت يا"اليكساندرا" "تتلكئين.

سكتت "جيسي"، وقد تحول وجهها بشكل ملحوظ كلما قرات، ثم صاحت:

- لقد فزت يا"اليكساندرا" برحلة بحرية!

التفتت "بيرما" إلى "چاك" وحدجته بنظرة ارتياب. قال :

- هذا رائع . يجب- دائما- الاستفادة من الفرصة عندما يبتسم لك الحظ.

ولكن "جيسي" استمرت في القراءة :

- لقد فاز اسمك بالقرعة. ويقولون: إنك ربحت بهذه الرحلة من بين الاف السيدات العجائز. وجميع المصروفات مسددة .. هذا رائع ! انا أعرف تلك الرحلات البحرية وما يحيط بها من سمعة. لقد قامت "جلوريا" بواحدة في العام الماضي. ويبدو انها خرافية.

قالت "اليكساندرا":

-لست أدري .. رحلة بحرية بمفردي. يجب أن أفكر.

قالت "جيسي" بمرح:

-إذن فكري بسرعة، لأن الباخرة ترحل غدا صباحا . أخذت "إيلينا"

تتامل المظروف الملون وقالت:

-يبدو من صورة الباخرة انها خرافية. وانا التي لم أركب قاربا شراعيا.

-أليس الأمر مذهلا ولايصدق ؟

صاحت "اليكساندرا" وهي تنهض من مقعدها:

-لقد اتخذت القرار . سأذهب ! ويجب أن أقول لكم: إنني خائفة.

أخذت "بيرما" تفكر وهي تتامل ثياب السيدة العجوز المتواضعة. وأدركت أنها في حاجة إلى ثوب للسهرة، وآخر للنهار، وأدوات أخرى من أجل الحرارة والبرد. وكلها أشياء لاتملكها. وقد عاشت فترة طويلة من عمرها في عوز وحاجة. همهمت وهي تنهض :

-سأذهب لأصب لنفسي قدحاً من القهوة.

في المطبخ كسرت الشابة الحصالة التي كانت تضع فيها بعض المدخرات المتواضعة التي اقتصدتها منذ اختفاء السيارة "الجيب" حتى تتمكن من شراء أخرى . على أية حال هناك ظروف أهم . كانت تظن أن "چاك" وراء العملية، ولأسباب لايمكن أن يصرح بها . ولكن -الآن- لم يعد بعد ذلك مهما. لقد أتيحت للمرأة العجوز فرصة أن تفعل شيئا خاصا ومميزا . عدت "بيرما" النقود المبعثرة على مائدة التسليم كانت ثلثمائة دولار .. إنه مبلغ قليل. ولكنه يكفي بالتاكيد لتوفير مظهر مشرف لها . بعد تفكير وتدبير. مدت "بيرما" يدها إلى "اليكساندرا" بالنقود وهي تقول :

-اسمحي لي ياسيدتي العزيزة أن تسعدي وتشرفي معجبيك بأن يساهموا مساهمة متواضعة في هذه الرحلة .. إنه بعض المال لمصروفك اليومي.

ثم استدارت "بيرما" نحو "جيسي" و"إيلينا".

www.rahmyna.com

-سيدتي ! اليوم إجازة من "البيتزا" . اذهبا مع "اليكساندرا" إلى الحوانيت- على الا تتعارك مع البائعين. يجب أن تحافظي على نفسك من المشاكل من أجل الرحلة .

-ربما ساحاول إغواء رجل أو اثنين لمجرد التمرين!

كتمت "بيرما" ضحكتها . هل هذه هي "اليكساندرا"، المرأة العجوز سليطة اللسان التي تحتضنها بين ذراعيها؟!

- أعرف يا "بيرما" أن هذه نقود "الجيب" . ولكن لاتشغلي بالك. فبعد عودتي ساعمل ثلاث مرات أكثر من المعتاد؛ حتى أرد لك أموالك.

سالت الدموع من عيني الشابة .لم تكن تتصور أن وراء طبيعة المرأة الشرسة يختفي قلب طيب ونقي نقاء قلب فتاة بريئة .

كانت "بيرما" مشغولة في مشاكلها. فلم تلاحظ ما تصارعه النساء الثلاث من أجل توفير كل قرش وهن يعانين الحرمان من مباهج الحياة . أدركت أنه -ربما- ليس من الأمور الصحية أن يحرم المرء نفسه من متع الحياة.

###

علقت "بيرما" لافتة :"مغلق" على باب الحانوت في السابعة مساء. سالها "چاك" وهو يرفع رأسه من فوق آلته الحاسبة:

-ما الذي حدث؟

- سنغلق المحل مبكراً هذا المساء، وسنحتفل برحيل صديقتنا. موافق؟

وضع "چاك" كفه على جبين الشابة وسالها:

-هل تحسين بالحمى ؟!

القت "بيرما" مريلتها على المائدة وهي تصيح:

- لاأحس بالحمى. ولكن الليل طويل!

ابتسم "چاك":

- هذا هو ما يعجبني .

-لابد من شراء كميات من المشروبات، والشيبسي، وكل ما يلزم الاحتفال..

- ومارأيك في استئجار فرقة موسيقية؟

-كفى هذرا ياهذا! لقد فعلت ما يكفي اليوم بتذكرة الرحلة البحرية التي قدمتها لـ"اليكساندرا"!

-هذا ما تقولينه أنت.

-هل تنكر؟!

سخر منها في رقة:

-لاأنكر ولا أعترف .

-أنت تشتري "الجاتوه". وأنا أشتري الباقي . وحاول أن تجعلهم يكتبون شيئا فوق "التورتة" .

- من عند "جرومان" الحلواني المواجه لمحلنا ؟

- نعم . وساتكفل بالمشروبات، ثم أنضم إليك.

بعد نصف ساعة- عندما وصلت "بيرما" إلى السيارة، كان "چاك" جالسا على المقعد المجاور للسائق، وعلبة كرتون على ركبتيه .وقال:

-انتظري حتى تري "التورتة" . إن السيد والسيدة "كوالسكي" تشاجرا. والغت هي عيد زواجها الخامس والعشرين.

- وهل هذه "التورتة" الخاصة بهما؟

-نعم . وقد عقدت صفقة ممتازة . هل تقودين؟

بعد دقائق كانت السيارة تتجه نحو بيت "چاك". سالها :

- هل رايت ابتسامة "اليكساندرا" هذا الصباح؟!

لقد بدا عليها وكانها فتاة صغيرة في ليلة عيد "الكريسماس" . لايمكن

أن تحكم أن مثل هذا الأمر يمكن أن تحدث لها . وأنت ايضا يا "بيرما" في حاجة إلى مفاجات صغيرة. وقد تؤدي رحلة بحرية الغرض . ربما نفعلها في شهر عسلنا.

"شهر العسل ؟!" اهتزت السيارة وتطوحت، ثم اصطدمت بالرصيف. قفزت التورتة كالشيطان من العلبة لتصطدم برأس "چاك" .استطاعت "بيرما" أخيرا استعادة سيطرتها على عجلة القيادة. ولكن "الجاتوه" و"التورتة" انتهى أمرهما بالسقوط على وجهيهما فوق قدمي "چاك".

نظرت "بيرما" - أولا- إلى قدمي "چاك". ثم إلى وجهه الأبيض من الكريمة، وهي تحاول في جهد ألا تضحك.

-أوه ياربي!

رفع "چاك" قطعة من "الجاتوه" من فوق بنطلونه وأكلها، وقال:

-لاباس.

قالت "بيرما" بدورها وهي تتذوق "الجاتوه" :

-يالروعة هذه الطبقة من "الكريز" المحفوظ!

- في جميع الأحوال لست أعرف مم تتكون "التورتة". ولكن السيدة "كوالسكي" رائعة في اختيارها.

-بالمناسبة. هل قلت شهر العسل؟

-نعم . وأنا أقول لك ذلك كل يوم بلا انقطاع. وأحدثك عن الكلاب والأطفال والزوجة .. أوه هذه "التورتة" لذيذة!

قدم لها قطعة كانت مستقرة على "تابلوه" السيارة .

-خذي. يجب تجربة هذه. إنها "شوكولاتة".

-هل أنت جاد؟

- أنا لاامزح أبدا بالنسبة للمأكولات.

ضاقت عينا "بيرما" في عصبية وسألته :

- هل أنت واثق من أنك لم تنس جزئية مهمة؟

-لقد فكرت في كل شيء. وأنت على حق بالنسبة للكلب. لست أدري من أي سلالة.

لعق "چاك" أصابعه المليئة "بالتورتة".

-ماذا ستكون إجابتك لوطلبت منك الزواج ؟

-لا.

-بالضبط . ولهذا السبب قررت أنه- بالنسبة للوقت الراهن- من الأفضل أن أظل في الجوار وأن أحاول أن أجعل نفسي محبوبا ومرغوبا قدر المستطاع. باختصار: أن أصبح لاغنى عني.

-أنا .. أنت .

-نعم .

قررت في نفسها أنه عندما تقف السيارة في الجراج، فإنها ستلف يديها حول عنقه، ثم تضغط وتضغط إلى أن ... ولكن ما إن دخلت الجراج حتى أحست "بيرما" -فجاة- بعدم الثقة في استجابة يديها لها . نعم . كل مرة تحب فيها أن تخنقه تجد يديها تخونانها وتستسلم لذلك الشعور الرهيب بالانجذاب نحوه. ثم ما هذا الشعور الذي أحسته في قلبها عندما تكلم "چاك" عن الزواج؟ لا من الأفضل ألا تخنق الرجل الذي قرر الزواج بها . رفع قدميه ببطء وقال:

-لوتمكنت من إخراجهما فإن "الجاتوه" سيظل سليما.

خرجت "بيرما" من السيارة بدورها وهي صامتة، ثم خرجت من حلقها ضحكة لم تستطع كتمانها. قال لها "چاك" وهو مسمر في مكانه وسط حلبة الانتظار، ووجهه وجسمه مليئان "بالجاتوه" :

-إنك تضحكين علي!

-لا.. إنك تتصور أشياء وهمية .لا. على الإطلاق.

عادت "بيرما" ودخلت المطبخ، ووضعت كيس المشتريات على مائدة التسليم تحت عيني "جيسي" المذهولة.

-هكذا بسرعة؟ أوه يا إلهي ! ما الذي حدث هذه المرة؟حريق آخر ؟ أم جريمة قتل ؟

-لقد قررت إغلاق المحل مبكرا .. هذا كل ما هناك.

-إنك لاتغلقين الحانوت -أبدا- مبكرا .لابد أن شيئا ما حدث. ولاتريدين أن تخبريني به .

الغاز؟ هل انفجرت انبوبة الغاز؟

بدأت "بيرما" تملأ- في عصبية- إحدى السلطانيات "بالشبسي".

- كل ما هناك أنني أغلقت مبكرا. ما الذي جرى لكم ؟

أنا لا أعتبر ذلك أمراً يدعو ..

قوطعت "بيرما" بدخول "چاك" سالت العجوز :

- ما هذا ؟

-إنه جاتوه . وبداخله "چاك" .

-ولكن كيف حدث له ذلك؟

-إنها حادثة .لقد سقطت "التورتة" و"الجاتوه" عليه بطريقة ما . ولكن هذا لن يمنعنا من أن نلهو ونتمتع. لقد قررت إقامةحفلة على شرف "اليكساندرا". وهذه هي العصائر والمشروبات المنعشة .

اختفى وجه "جيسي" خلف ابتسامة عريضة.

-يالها من فكرة طيبة .سأذهب للبحث عن البنتين في الدور العلوي.حيث تقومان باللعب بملابس الرحلة الخاصة بـ"اليكساندرا".

بعد لحظات ظهرت "اليكساندرا" وهي تخفي- بصعوبة- ابتسامة رضا.

- ما رأيكم إذن؟

كانت ترتدي ثوبا أزرق جميلا مطرزاً بخيوط بيضاء، وقميصا أبيض، وحذاء مزخرفا . كان شعرها القصير ناعما، يسقط على أذنيها، حيث علقت فردتي قرط من اللؤلؤ الأبيض .قالت :

- لقد ذهبت إلى حلاق السيدات .. أليست فكرة طيبة؟

قالت "بيرما" وهي تتعلق بعنقها :

-"اليكساندرا". أنت رائعة ؟ إن ما أراه أحسن مائة مرة من "الچيب" الجديدة .ثم ذهبت "للكوافير" ! ياللمعجزة!!

فتح "چاك" زجاجة عصير تفاح، ثم صب منها في أكواب فوق صينية، وقال لـ"بيرما".

-عليك أن تعتني بالمشهيات .. هيا بنا لنجلس في الصالون حيث نصبح على راحتنا أكثر للتمتع برؤية مشتريات "اليكساندرا".

قالت "جيسي" بلهجة ناقدة :

-يوجد لباس استحمام. واستطيع أن أقول: إنها بداخله لن تنجو من السخرية كامرأة عجوز .

احتجت "اليكساندرا":

-لست عجوزا إلى هذا الحد .ثم إنني أعتني دائما بلياقتي .. لقد أصبحت جديدة.

###

كانت "بيرما" ممددة فوق الأريكة العريضة، حيث أخذت تلعب بكوب عصير التفاح الفارغ. قال لها "چاك" وهو يربت كتفها :

-الآن، وصديقاتنا الثلاث قد نمن فقد حان الوقت للحديث بيننا . ألا تظنين ذلك ؟

كان صمت "بيرما" يدل- تماما- على عدم رغبتها في الحديث أو النقاش . ومع ذلك ناولته كوبها، فقال لها وهو يملأ الكوب بعصير

التفاح :

-افضل الا تتناولي المزيد، فقد بدا عليك التاثر.

ردا على كلامه ابتلعت كوبها مرة واحدة، واخذت تطرف بعينيها عدة مرات عندما وصل المشروب معدتها. في الحقيقة - لم تكن تشرب -قط- سوى الماء. وأحيانا عصير البرتقال .

مـاذا تعني بقـولك: إنني بدات اتاثر ؟ انت ترى انني اتحـمل اي مشروبات منعشة او قوية، مثل الناس البالغين !

ابتسم "چاك"، فقالت:

- في حفل زفاف ابن عمي "جامي" شربت نخباً في صحة العروسين، ثم سقطت مريضة .

- إذن انت لاتريدين ان تصابي بالمرض. اليس كذلك ؟!

- لقد كان السبب التسمم الغذائي، بسبب الدجاجة الفاسدة، او ربما بسبب جرعات الدواء الزائدة. لم اعد اذكر السبب. أو ربما كان بسبب العدوى !

ضحكت:

-هل قلت العدوى ؟

- إنه امر غريب. اتعرف انه يجب احيانا ان اجلس على يدي؟!

رفع "چاك" عينيه إلى السماء وقال :

- يا إلهي ! إنها مجنونة . اخيرا- اصبحت لي، ونحن بمفردنا، وإذا بها تصاب بالجنون بسبب شرابها.

-نعم . انا مخمورة . الا تريد ان تنتهز الفرصة؟

نظر إليها في صمت.

- ماذا إذن يمنعك ؟

-إنني افكر. وسانهب لإعداد قهوة سادة وقوية.

اخذ يمسح العرق الذي تصبب على جبينه، ثم صاح في اضطراب :

- ما الذي اصابك يا "بيرما" . أعتقد أن علي أن اضعك في الفراش .

كانت عينا الشابة قد انغلقتا تماما وهي تقول :

-لا.. إنني متعبة . لم يعد لي ركبتان .. أين ذهبت ركبتاي؟

رفعها "چاك" بين ذراعيه، ثم حملها حتى الدرج. ولكن عند الدرجة الأولى - اصطدم راسها بالجدار. بينما انحشرت قدماها في درابزين السلم.

- يا إلهي ! كيف يحدث معي ذلك، ولايحدث مع ابطال الأفلام؟

وضعها "چاك" على درجة من السلم ،ثم سندها حتى تقف، وبدا عملية مصاحبتها على الدرج. وانتهى به الأمر إلى أن حملها على كتفه مثل الجوال. اخذت "بيرما" تئن وتتاوه إلى أن القى بها على السرير .

-اوه ..! إنني احس بدوار .

انزلت إحدى ساقيها إلى أن لمست قدمها الأرض . وسالته :

-هل هذا افضل؟

-ياعزيزتي ! لا تستطيعين النوم هكذا .

قالت له وهي تنزلق أسفل السرير :

-لماذا؟! إنني احب ان انام هكذا .. لا..إن ذلك مـتـعب جـدا .. انا لا احب أن انام هكذا.

رفعها "چاك" مرة ثانية إلى السرير، واخذ يربت شعرها:

-ياللمسكينة "بيرما" الصغيرة!

ردت بلسان ثقيل :

-هكذا افضل .. الآن سانام .

###

فتحت "بيرما" عينيها نصف فتحة، ورات "چاك" امامها سالته:

- هل هناك كل هذا الضوء دائما في الصباح؟

- كيف تشعرين؟

-اشعر ان عيني مثل بيضتين فوق صينية، ومعدتي وكانها حلبة رقص.

- هل تحبين أن تتناولي غداءك؟

-لست أعرف كيف افعل ذلك.

نظر "چاك" إلى ساعته:

-لابد ان اصحب "اليكساندرا" إلى الباخرة. وسانزل "جيسي" و "إيلينا" عند "صندوق البيتزا". يمكنك أن تأخذي هذا النهار إجازة.

- إن "جيسي" و"إيلينا" لا تستطيعان القيام بعملية التسليم.

- لايوجد تسليم يوم الأحد.

- منذ متى ؟

- منذ اليوم. هذه قاعدة جديدة وضعتها الآن.

- قاعدة جديدة ؟! ياللوقاحة! والآن يبدو انك ستدير أعمالي! جلست في السرير وصاحت:

- اسمع يا "چاك سوبر"...

-نعم.

فجاة احست بانها ليست على ما يرام. احست فوق حلبة الرقص -التي بداخل معدتها- انهم بدءوا يرقصون "فالسا" بطيئا ثم اخذت الموسيقى تسرع وتسرع لدرجة تصم الآذان. وضعت يدها على فمها. وباليد الأخرى ازاحت الأغطية وهي تقول:

-اعتقد انني ساصاب بالمرض.

صفقت باب الحمام وراءها، واسندت راسها على "القيشاني" البارد.

-"بيرما" ! هل انت بخير؟

-لا.. انا مريضة.

-هل يمكنني مساعدتك؟

-لااعتقد. إن هذا النوع من المرض لايتطلب اي مساعدة محددة.

بعد دقائق عادت "بيرما" للظهور، وهي تحاول التظاهر بالكرامة، وقد وضعت منشفة حول راسها.

-ساعود إلى السرير حتى اتمدد في هدوء .. لاتسليم "للبيتزا" يوم الأحد. إن هذه قاعدة تبدو لي عبقرية. لابد من تنفيذها في الحال.

غطت نفسها بالبطانية وقالت:

-ها قد تم كل شيء.

قال لها "چاك" مطمئنا وهو ينظر إليها لآخر مرة:

-لن اتاخر في العودة فور تخلصي من "اليكساندرا".

-لاتستعجل. فلن اتحرك من هنا، إذ لدي الكثير لابد أن افعله.

###

صبت "بيرما" لنفسها كوبا من عصير الخوخ، ثم ظلت ثابتة بلا حركة فترة وهي تتمتع بالهدوء بعد رحيل صديقاتها الثلاث. لم يكن "چاك" قد عاد بعد. كانت قد قضت جزءا كبيرا من الفترة الصباحية في النوم. والبقية في التفكير في مشروعاتها. انتهى تفكيرها إلى أن المشروعات ليست سوى مرشد وخطوط نحو الأفق المثالي للحياة، حيث إن أحسن المشروعات لاتنجح. مثلا: هي وقعت في حب "چاك" بجنون، ومع ذلك لو نجحت في امتحانات نهاية الدراسة في سنوات سابقة لما شعرت بالسعادة.

فلماذا إذن تذهب حياتها العاطفية في طريق آخر؟

قال لها صوت بداخلها: "بيرما" احذري الاندماج. فانت تعلمين جيدا انه ليس نفس الشيء. وأجابت على ذلك الصوت: نعم .. ولكن اصمت!

اخذت تتمطى فترة طويلة وهي تفكر أن عدم اتزانها لم يكن سيئا، لأنها استبدلت بعض الأفكار السيئة بغيرها حسنة. وانتهت بها فلسفتها للأمور إلى أن استخدام جدول مواعيد مشحون، وكذلك الاحتياطات المبالغ فيها-ليس الحل لكل مشاكلها . قالت وهي تمسك بملعقة خشبية للتقليب:

-انتهت الاحتياطات .

انتهت من تجرع كل عصير الخوخ مرة واحدة. واخذت تبحث في مرح عن المكونات اللازمة لإعداد حلواها المفضلة :فطيرة الفراولة والكريمة .

###

كانت "بيرما" منهمكة للغاية في المطبخ حتى إنها لم تسمع صوت سيارة"چاك" تدخل الجراج. وعندما أدركت- أخيرا- وصوله قفزت واقفة وهي ممتلئة فرحا لاتعرف سببه ،قالت لنفسها:" عليها أن تهدأ، فالقادم ليس سوى "چاك"، وهو يسكن هنا" . ولكنها لم تستطع أن تكف عن الابتسام . إنها تحبه تماما، وبكل عاطفتها، وهي تتمناه .

فتحت الشابة باب الفرن وأخذت تتامل صنع يديها :فطيرة فاخرة بالفواكه والكريم، جاهزة للالتهام. نظرت لتجد "چاك" مستندا على مائدة التسليم وقد عقد ذراعيه على صدره وهو يتاملها . عادت وركزت عينيها على الفطيرة. إنها تعرف الآن ماذا يشاهد "چاك" :"بيرما" الحسناء وهي منحنية على الفرن وهي ترتدي "تي - شيرت" مخططا، و"شورتا" مطرزا، وحافية القدمين فوق البلاط اللامع . جاء صوته رقيقا ومنخفضا .

- ما هذا ؟!

- فطيرة الفراولة والكريمة.

سالها وهو يسحب طبقا فارغا من فوق المائدة :

- هل يمكنني أن أذوقها ؟كم هي لذيذة!

مد لها الطبق بعد أن التهم ما فيه وقال لها :

-الن تتذوقيها ؟

أخذت منه الطبق المتسخ ووضعته في حوض المطبخ . كانت تتنفس بصعوبة أمام نظراته. قالت له :

-لدي رغبة شديدة في أن آخذ حماما.

أخذ ينظر بدهشة لتغير معاملتها فجاة. سالها:

-هل شربت عصير تفاح مرة ثانية؟

-لا.. ولكني اعدت التفكير كثيرا في امور كثيرة. إنها تحبه. بل إن كلمة حب لاتعبر عن كل ما تحسه من مشاعر نحوه في هذه اللحظات . إنها احبته من اللحظات الأولى. ولكنه كان حبا وليدا. والآن بلغ سن الرشد . إنها تحس -من الآن- أنها ملكه، وللأبد. والزواج لن يغير من الأمر شيئا .لانها تحبه حبا لاحدود له.

قال لها في دهشة وهو لايزال غير قادر على أن يستوعب هذا التغيير المفاجئ:

-"بيرما". كم انت حلوة وفاتنة ورقيقة!

وانا احبك حبا شديدا .. أحبك!

أحست"بيرما" أن هذا هو الحب الذي سيجمعهما للأبد . نعم. إنها تريد أن تعيش معه مدى الحياة. بعد ساعات طويلة من النوم والكسل أخذت "بيرما"تتمطى. ثم بحثت عن "چاك" بعينيها. إنها لاتريد من الآن أن تبتعد عن حبيبها .

كان "چاك" ممددا على الأريكة وهو ينظر إليها في هيام . ثم فجاة صاح:

-يا إلهي ! أتدرين كم الساعة الآن؟!

كانت شاردة في احلام اليقظة، ولم تعن بمعرفة الوقت. ولكن "چاك" ارتدى بنطلونه "الچينز" بسرعة.

- لقد قضت "جيسي" و"إيلينا" طوال النهار في المطعم!

زفرت "بيرما" أمام رحيله السريع، وأحست باضطراب في دقات قلبها لم تعرف له تفسيرا. سألته :

- أيجب أن ترحل في الحال ؟ ألا يمكن أن تبقى عشر دقائق على أكبر تقدير؟

-لا.. لقد مرت ساعة وهما تنتظرانني !

أحست "بيرما" انها تعود لأيام الطفولة وهي تسقط في حالة من اليأس الذي لامعنى له ولا فائدة منه . طبعا الحق معه. ومع ذلك فقد أحست بانها مهجورة وتعيسة .

اسرعت الشابة إلى الحمام وهي تشعر بالندم. لأنها قضت أربع سنوات من العزوبة دون أن تعرف فيها رجلا .. لماذا لم تلتق بـ"چاك" قبل الآن بكثير ؟ وقفت أمام المرآة، وأخذت تندهش من صورتها . انطلقت منها ضحكة عالية . لقد كانت غريبة الشكل .. إنه الحب!

لقد اصابها الحب بالجنون .

الفصل الثامن

غاصت "بيرما" في الأريكة وهي تلعب بـ"الريموت" الخاص بالتليفزيون، وهي تقلب بين القنوات في غضب، وتزمجر وتنظر في ساعتها :

-الساعة الواحدة إلا ربعا!

كانت السيدات الثلاث مستغرقات في نوم عميق بالدور العلوي. والقط مكوم على شكل كرة وهو نعسان أمام الفرن . كل الناس نيام عداها و"چاك" .. وجدته مثيرا للشفقة عندما أصابته صاعقة الاختراعات وسط العشاء، حيث تركته كي يغوص في القبو . والآن أوشكت الساعة على بلوغ الواحدة بعد منتصف الليل . أخذت نفسا عميقا، وقررت أن تظل هادئة. على أية حال لقد كرس "چاك" نفسه كلية لـ"صندوق البيتزا"، وأصبح من الضروري أن يعمل هو أيضا . إنه كيميائي ومخترع .

www.tahrirya.com

ولكن لماذا بحق السماء يهبط عليه الوحي هذه الليلة؟!

وكيف بحق السماء يستطيع أن يتركها بمفردها بعد فترة ما بعد الظهر، التي قضياها بصورة رائعة ؟

ولأول مرة في حياة "بيرما" - أحبت ذلك الرجل حبا صادقا، وانقلب عالمها بسببه رأسا على عقب، وكانت تنتظر أن حياته هو أيضا تنقلب .

زمجرت :

- لقد انقلب حالي تماما . ولكن في الاتجاه السيئ. إنه يريد الآن الابتعاد عنها .. ولكن لا ..

أغلقت التليفزيون، وصعدت لتنام . إن الرجال يرون العالم بطريقة مختلفة . هذا كل ما هناك. إنهم أكثر استرخاء كالحيوانات..

كانت غاضبة وهي تلقي بنفسها فوق السرير فكرت أن كل شيء سينتهي ويمر .." إن السعادة هي التي تجعلني أشعر هكذا. لم يكن من الواجب أن أصنع تلك الفطيرة بالفراولة والكريمة.."

بعد ساعات ثلاث كانت "بيرما" لاتزال تنقلب وتتقلب على نفسها في سريرها . ما الذي جرى لها إذن ؟ كان المفروض أن تكون راضية وهادئة.

###

بعد ست ساعات فتحت "بيرما" عينيها، لتكتشف أن "چاك" يتسلل على أطراف أصابع قدميه، ويجمع حاجاته . قالت له بصوت كمواء القطط :

- "چاك" ! ولكن ماذا تفعل هنا ؟ تعال لتنام .

- لا أستطيع.. يجب أن أصل المدرسة مبكرا اليوم . ولكني لم أعثر على

حذائي . أوه .هو تحت السرير!

بعد أن طبع قبلة سريعة على جبين "بيرما" غادر الحجرة. مرة ثانية تجد "بيرما" نفسها بمفردها، ودمعة تسيل على خدها . إنها لاتريد أن تصاب بالجنون. ولكن هذا الوضع يذكرها بزواجها . ارتدت ملابسها، وهبطت للغداء .

اوقفت "بيرما" في المساء السيارة في الجراج. في المكان المخصص لها واخذت تتامل في هدوء هذا البيت . كانت سيارة "چاك" موجودة، وجميع الأنوار مضاءة . قالت لها "إيلينا" وهي تغلق الباب:

- إن هذا لايصلح يا "بيرما" .

-إنني متعبة ولكن لاباس .

- أعرف ماذا بك. أنت لست في حالتك المزاجية المعتادة؛ لأن "چاك" لم يذهب للعمل بعد الظهر. ولكن يجب عليك الا تقلقي . لقد اتصل تليفونيا ليخبرنا أن أمامه أشياء يقوم بها .

قالت "بيرما" وهي تهز كتفيها:

- أعلم .. إنني حمقاء !

- نعم أنت حمقاء .

- هيا يا "إيلينا" . كوني سعيدة ومرحة.

كان "چاك" جالسا أمام مائدة المطبخ عندما وصلتا . سأل وهو مندهش:

- كم الساعة الآن؟

أخبرته "إيلينا":

-الثانية .. إنني متعبة للغاية حتى إنني أعتقد أنني أستطيع النوم

على فراش مغطى بالمسامير. عندما غادرت "إيلينا" الحجرة اخذت "بيرما" تدلك رقبة "چاك" برقة. سالته :

- وأنت. الن تذهب للنوم؟

رد عليها بحدة:

- إنني أحاول التخلص من توتري العصبي . انظري إلى هذه الكراسات . إن أمامي كل هذه الكومةلاصححها. لايمكن ابدا أن اتمكن من الانتهاء منها .

- يمكنك أن تفعل ذلك غدا.

- غدا سيكون عندي غيرها . إنهم رائعون هؤلاء الأطفال. لقد أحرزوا تقدما فلكيا.

اقترحت عليه :

-اتريد مني أن اصحح معك؟

- لا .. شكرا. لابد أن افعل ذلك بنفسي .

افرغت "بيرما" حقيبة التموين ، وغسلت بضعة أطباق ثم التفتت نحوه واعلنت:

- ساصعد لأنام.

لم يرد عليها. لا "چاك" ، لاالتموين، ولا المطبخ. وصعدت الدرج منكسة الراس . لم تعد لديها رغبة في أن تكون مرحة . تمددت فوق السرير، وأغمضت عينيها، وتركت دموعها تنساب . ما الذي جرى لها إذن؟ لماذا تقع دائما في حب رجال لايعرفون كيف يحبونها ؟ ربما كانت تطلب أكثر من اللازم .. احست "بيرما" بانها حمقاء. ولكن ما باليد حيلة؟! كان من الواجب عليها أن تشعر بالاطمئنان، وأن يقول لها "چاك": إن ما

عاشاه معا شيء رائع .

###

صاحت "إيلينا" التي كانت بالمطبخ عندما دخلته "بيرما":

- يا إله السموات! بالأمس لم تكوني تشعرين بشيء يثير عواطفك. واليوم الأمر انقلب للنقيض وها هما عيناك من البكاء أصبحتا كحبتي الطماطم .

- لقد حدث لي إغماء .

- و"چاك" ايضا لم يكن طبيعيا ، لقد رحل من ساعة تقريبا، ورابطة عنقه ربطها بالمقلوب، وشعره في كل اتجاه.

- هل قال شيئا بشاني ؟

-لا .. لقد همهم بشيء ما لم افهمه عندما قال : إن "إيريك بويار" سيعيد الفصل الدراسي إذا لم يتعلم كيف يكتب بطريقة صحيحة.

قالت "بيرما" وهي تخرج "تورتة" التفاح من الثلاجة :

- لقد فهمت . لقد فكرت مليا، وقررت الا اقع في الحب. إن ذلك أفضل . إنني افضل أن اكل في مكان بعيد. اغلقت "بيرما" باب حانوت "صندوق البيتزا" بعنف خلفها. واخذت تسب وهي تلقي الكتب فوق مائدة التسليم.

- هذا يكفي ! هذا هو ما يحدث عندما يقع المرء صريع الحب . إنه اختيار خاسر. وأسفاه على امتحان تاريخ الفن!

ذكرتها "إيلينا" وهي تمسح يديها في مريلتها :

- لقد قلت لي: إنك لن تقعي فيه ياعاشقة!

-انا لم اقع فيه. او الأصح لم اعد عاشقة . إنني اعرف أن ذلك

سيحدث .لايوجد مكان لـ"چاك سوبر" ولا "فنسنت فان جوخ" في راسي ، لقد عملت كثيرا، وبهمة. ولكني لازلت احب العمل ، إنها العاطفة الحقيقية والطبيعية والحرة .

القت بجسدها على مقعد مطبخ بلا ظهر ، دهشت "إيلينا" وقد اتسعت عيناها .

- لا داعي للهذر والمزاح!

- بلا هذر . انا مجنونة بالعمل .. وكنت مجنونة بـ"چاك". ولكن من اللحظة لم أعد أحبه !

-لقد ظننت انك كنت تحبينه كثيرا هذا الصباح .

- نعم . ولكن الآن لم أعد احبه للابد .

###

في تلك الأمسية، والساعة التاسعة اخذت "بيرما" تحدج بإمعان ظهر "چاك" المنحني على كومة جديدة من الكراسات . كانت تعلم ان كل شيء انتهى . وانها ارادت ان تهرب باقصى سرعة إلى نهاية العالم. ولكن من اين تجد القوة ؟ تشاءب "چاك" وهو يلف بمقعده ليتامل وجه "بيرما" .

-يبدو عليك الغم اليوم.

هزت "بيرما" كتفيها . إن الفراغ الذي غزاها جعلها صامتة . رحلت بدون كلمة، وهي تامل في قرارة نفسها ان يتبعها . ولكنه لم يتحرك من مكانه، ولم يطرف له رمش . انحنى على كراساته وهو يحيي الشابة بحركة مبهمة من يده.

###

خلعت "بيرما" المريلة من فوق راسها، وتركت خصلات شعرها حرة . سمعت ضجة اتية من المطبخ جعلتها تفكر : لابد ان "چاك" حضر عندما كانت تاخذ حماما . إن "چاك" هو الوحيد القادر على إحداث هذه الضجة في المطبخ . اخذت تزمجر:

- توجد نساء كثيرات هنا . كل ما يريده هو قطعة "بيتزا". إلى اين وصلت ؟ إنها لم تصل لقرار لترتيب انية الطهي- واحدة بعد الأخرى. إن النساء الأربع دائما ما يختلفن ونادرا ما يتفقن . إن كل ما يريده هو فطيرة "بيتزا" ! وهو لم يخف هذه الرغبة قط في الأيام الأخيرة. إنه لم يوجه إليها كلمة منذ يوم الأحد السابق .. ارتدت "بيرما" بنطلونها، وحاولت ان تغلق ازراره، ولكن دون جدوى. فاخذت تسب وتلعن.

-صه!

حبست الشابة انفاسها وحاولت مرة اخرى ان تغلق الأزرار. ولكن دائما لا تنجح . نظرت "بيرما" لصورتها في المراة . لقد اصبحت بدينة، وذلك بفضل "چاك سوبر". لقد ارادت الحب، وكان من الواجب أن تكون حريصة في غذائها. والآن اصبحت بدينة. تخلت عن محاولاتها مع الأزرار، وارتدت "تي شيرت" وهي مندهشة من الطريقة التي التصق بها على صدرها. مالت للأمام، وتاملت التاثير. ظهر "چاك" على عتبة الباب، وسالها :

- هل الأمور بخير؟

-بالنسبة للبنطلون .. لا .. لقد اكلت كثيرا من فطيرة الفراولة بالكريم في الفترة الأخيرة .

-اتعشم الايتسبب ذلك في فقدانك للشهية هذا المساء . لقد اعددت

عشاء خرافيا لهذا المساء.

كررت "بيرما":

-أنت أعددت العشاء ؟!

- في الحقيقة، لقد اشتريته جاهزا .

عندما وصلا إلى قاعة الطعام توقفا معا فجاة وقد أصابهما الهلع، وكانت "بيرما" أول من استردت أعصابها وصاحت:

- يوجد كلب على المائدة.

كان الكلب يشبه تمثال "بوذا" مرتديا الفرو . كان جالسا وسط المائدة ويتاملهما وهو يهز ذيله.

قال "جاك":

-لقد أردت أن يكون مفاجاة!

قالت "بيرما" - وهي ترفع طبقا من فوق المائدة- :

-إنها كلبة . ثم هل من المفروض أن يكون هذا الطبق فارغا؟

-لا. المفروض انه كان مملوءا باللحم "البتلو" لقد التهمت الكلبة عشاءنا !

سالته "بيرما" :

- وماذا عن هذه السلة؟

- إنه الخبز.

اختنقت "بيرما" من الضحك المجنون.

-إنني أجد صعوبة في تصديق أن كلبا صغيرا كهذا استطاع أن يلتهم كل هذه الكمية.

- انظري إلى كرشها .. إنها كرة على أربع عجلات .

- إنها لم تترك سوى البازلاء.

رفع "جاك" الكلبة من فوق المائدة، وأخذ يربت فروها اللامع، ثم قال:

- أعتقد أنها لن تستطيع أن تهرب من سلتها .

-أتقصد هذا الشيء المليء بالثقوب ؟

- ما رايك في أن نسميها سمكة القرش"؟ هل سبق لك أن ربيت كلبا ؟

-لا .. وأنت ؟

-لا .. لقد كانت تربية الكلب جزءا من مشروعاتي: كلاب تجري وراءها الأطفال .

سالته "بيرما" وهي تضحك:

- ولكن أين تخبئ الأطفال ؟

- سياتي الأطفال في النهاية .. إنه الجزء الأكثر تسلية؛ لأنه يلزمنا- نحن الاثنين- أن نصنعهم.

-يجب علينا أن نصنعهم ؟! نحن؟

-أوه. انظري! إن كلبتك تقيأت على قدمك.

رددت كلامه وهي لاتخفي فرحها .

- كلبتي ؟

-هذا هو خطئي .. إن الكلبة تتقيأ عندما أريد أن أكون رومانسيا.

سالته في شك:

- رومانسيا؟!

- إنها عطلة نهاية الأسبوع. وأعتقد أنني ساعوض تاخيري، ونعيد تعارفنا .

قالت في نفسها : ياله من وغد يريد إعادة التعارف !

كانت ثائرة . لقد بكت طوال الليل .. كل أيام الأسبوع. وكانت تاكل بلا توقف. وها هو السيد يريد إعادة التعارف . قال يجاملها:

-لقد كنت رقيقة جدا، ومتافهمة للغاية . لا يمكن أن تتصوري التعب الذي لاقيته في تصحيح هذه الكراسات حتى الثانية صباحاً بلا توقف . لم تكن لدي سوى رغبة : أن أترك كل شيء وانضم إليك. ولكني لم أستطع أن أهمل الأطفال .

أحست "بيرما" أن وجهها احمر، وقالت بضعف :

- أوه .. طبعا .

- ولكن الآن، وقد عوضت تاخيري . أود أن أقدم لك شيئا غير عادي : عشاء خرافيا وحدنا . ثم ..

لم تعد "بيرما" تعرف كيف تفكر . كيف يمكن أن تكون غيورا من كل هؤلاء الأطفال ؟

ولكن - رغما عنها! كان شعورها بانها مهجورة قد عتم من اللوحة . قالت مقترحة:

-اذهب لتاخذ دشك، وأثناء ذلك سانظف المائدة .

عندما أصبحت المائدة نظيفة اخرجت الكلبة إلى الحديقة . من أسبوع كان الريف غائما، ودون حياة. ولكن في شهر إبريل بدات البراعم تظهر على الأشجار، وبزغت النباتات. تمددت "بيرما" على بطنها فوق النجيل الأخضر الرطب، وأخذت تتامل الكلبة التي سمتها "كلامتي جين". تصورت أن الكلبة ستتفجر سعادة، حيث أخذت تهز ذيلها، وتتدحرج على ظهرها. همست لها "بيرما" :

- لقد كنت دائما احلم بكلب صغير أسود .

عندما لمحت الكلبة "جاك" يخرج من المنزل وهو يحمل مائدة صغيرة عليها مفرش أبيض، اندفعت نحوه لتحييه . وضع "جاك" كاسين عاليتين وطبقين فوق المائدة، ثم أشعل شمعتين، وصب عصير التفاح . كانت الوان زاهية تضوي عند الأفق، لتحل محل الظلال الليلية الزرقاء والخضراء . كان "جاك" حافيا، ويرتدي بنطلون "جينز" حائل اللون، كان على مقاسه بالضبط. وكانت كتفاه العريضتان تحت القميص الأزرق الزاهي تظهران قوة عنقه . تكورت الكلبة، ثم استغرقت في النوم . أخذ كل من "بيرما" و"جاك" ينظران إليها وقد امتلا قلباهما بالحب نحوها .

فجاة تلقت "بيرما" قطرة ماء فوق رأسها. تبعتها ثانية وثالثة . نهض الشابان وجمعا أدوات النزهة، وأخذا يجريان ويمرحان ويضحكان . صاحت "بيرما":

-إنني لم أستطع-حتى الآن- أن افتح نوافذ شقتي ومع هذا المطر فإن الرائحة لن تطاق .

-إن هذا يسعدني جداً: أن تبقي معي .. خذي "كلامتي جين"، وانا ساعتني بالأشياء الأخرى .

نفذت "بيرما" المطلوب وهي تحمد حظها؛ لأنه لم يستمر في حديث المجاملة . إن المشاعر التي تحسها متناقضة تماما، وفي نفس الوقت أسرة.

وضعت "بيرما" "كلامتي جين" فوق وسادة في ركن المطبخ. ونامت الكلبة وهي تتثاءب في رضا . ترك "جاك" و"بيرما" الحجرة على اطراف اقدامهما ليجلسا في الصالون . أعاد "جاك" إضاءة الشموع كما أوقد نار المدفأة. أثناء هذا الوقت بحثت "بيرما" عن أسطوانة البيت

الخفي"، ووضعتها في جهاز التسجيل . قال "چاك" :

- وأسفاه على العشاء . أتحبين أن ترقصي؟

ضحكت الشابة وذهبت لتراقصه، وخفضت عينيها وهو يحيط وسطها بذراعه، وبدأ قلبها يدق بشدة. لقد كانت رقصة هادئة وممتعة، وياله من إحساس رائع وهي قريبة منه لهذه الدرجة. رفعت "بيرما" رأسها من فوق صدره على مضض، لتسمع صوت أبواب سيارات وضحكات مرحة سألها . وعلى وجهه نفس تعبيرها الحائر:

- هل تنتظرين أحدا؟

-لا.

انفتح باب المدخل، ودخلت "إيلينا" إلى الصالون. يتبعها "ميشا" و"جيسي" و"كليم"، ورهط من الأشخاص المسنين.

لوحت "إيلينا" بذراعها وهي تقول :

-إنك لن تخمن أبدا ما حدث . لقد تزوج "كليم" و"جيسي" هذا المساء ! أليس الأمر رائعا ؟! عندما وصلا إلى "صندوق البيتزا" ليعلماني بالخبر اتصلت ببعض الأصدقاء" لتنظيم ما يشبه الاحتفال .

"جيسي" و"كليم" تزوجا! فتحت "بيرما" فمها على آخره، وظلت صامتة فترة . منذ متى تعارفا ؟!

لأكثر من أسبوعين ! تلعثمت وهي تقول :

- مبارك !

قال "چاك"- وهو يقترب منهما ويقبلهما مهنئا-:

-إنه أمر بديع ! واتمنى أنا و"بيرما" لكما كل سعادة العالم .

قالت "إيلينا" معلقة:

- إن من يرى "بيرما" يظن أنها ليست سعيدة برؤيتنا!

شرح "چاك":

- إنها فقط مندهشة.

رددت "بيرما" كلامه وهي تحاول أن تهدئ نفسها:

-مندهشة!

كان من المفروض أن تشعر "بيرما" بالسعادة. ولكنها أحست بغصة رعب في حلقها . كيف استطاعت "جيسي" أن تتزوج بسرعة هكذا بـ"كليم" ؟ كيف تتجاهل الإضاءات ؟ إن مثل تلك الزيجات لابد أن تنتهي بالطلاق . قالت "إيلينا" لـ"چاك":

- اتعشم الا يضايقك هذا . كان من الواجب أن اتصل بك. ولكني أعترف أنني فقدت اتزاني .

رد "چاك" :

-بل بالعكس يا "إيلينا"، إن هذا يسعدني جدا. وعلى أيةحال- ليس كل يوم تتزوج "جيسي" حما أختي . في الحقيقة هل اتصلت بهما ؟

سأل "كليم":

- من هما ؟

- ابنك "فنسنت" وأختي "ساندرين" . على العموم لا تشغل بالك.

وضع في المطبخ ثلاثة صناديق من عصير التفاح. بينما كان جهاز الموسيقى يعزف لحن "البيت الخفي" المرح .

قال "چاك" معلقا وهو يمسك بيد "بيرما" ليقودها حتى التليفون:

- لحسن الحظ ليس لي جيران. إن هذا ليس ما كنت أتوقعه هذه الأمسية .

- ومع ذلك تتقبل الأمر بصدر رحب .

- إنني أحاول أن أؤثر عليك بطيبتي وتسامحي ومزاجي المرح بينما هناك بداخلي صراخ وأنين. لقد أعددت مسلسل سهرتنا إعداداً جيداً!

خمنت "بيرما" ما يلمح إليه، وسعدت لأن الأحداث غيرت مجراها . إنها في حاجة لأن تفكر، وتبتعد قليلا عن "چاك" . قالت:

- حسنا .إن ذلك يمكنه الانتظار دائما. ولا يمكن أن نستأنف حديثنا الخاص على الملأ. انفجر "چاك" قائلا :

- وماذا عني ؟ لقد كنت قريبا من تحقيق الهدف.

- أي هدف؟ ولماذا أنت عصبي لهذه الدرجة ؟

-لأنني مرعوب .. ولم يسبق لي أن كنت مرعوبا هكذا !

قالت "إيلينا" بصوت مرتفع وهي تمر بهما :

-لم يعد لدينا أكواب . إنه احتفال فخم. أليس كذلك؟!

همهم "چاك" وعيناه على "بيرما" :

-إنه مذهل ! على كل حال يا"بيرما" يمكننا استئناف حديثنا الخاص في حجرتك.

أخذت "بيرما" تحتج وقد تركت نفسها لـ"چاك" يقودها إلى غرفة نومها:

-أوه .. لا .. لا ..

قال لها مقترحا وهو يدس يديه في جيبيه:

- من الأفضل أن تجلسي .

- هل الجلوس إجباري ؟

-أوه .. لا . أعرف أن هذا تهور من جانبي: أن آمرك بالجلوس. ولكني لم أكن أعرف من أين أبدأ.

أحست "بيرما" بقدوم الكارثة .

- ليس الأمر مدهشا يا"چاك": إنني لاأحبك. ولكن كل شيء أصبح غريبا بالنسبة لي.

بدا الذهول على وجه "چاك". ثم ضحك عاليا .

- أتظنين أنني أحضرتك هنا لتبادل عبارات الغرام ؟

-لا.. ولكن الأمر غريب .. بصراحة: نعم .

-يالك من وغدة خسيسة.

-لماذا إذن ؟اشرح لي.

-لقد أحضرتك هنا لأطلبك للزواج. جلست "بيرما" على حافة السرير وأغمضت عينيها. بينما أخرج "چاك" من جيبه علبة صغيرة مكسوة بالقطيفة السوداء، وركع أمامها:

-"بيرما". هل يمكن أن تشرفيني بأن تصبحي ...

سمعا طرقة على الباب؛ فزمجر "چاك" وهو يفتح العلبة، حيث أخرج منها خاتما ذا حجر "برلنت" ضخم . وقال :

- هناك شخص ما على الباب. وكم كنت أود أن أفعل ذلك براحتي. ولكن من على الباب.

نفد صبره. وضع الخاتم في أصبع "بيرما" وهو يقول :

- هل تقبلين يا "بيرما" أن تصبحي زوجتي ؟

كانت "بيرما" مضطربة . نظرت إلى الخاتم الفاخر دون أن تراه. لقد كانت شاردة تتساءل: إذا تزوجته فماذا سيحدث؟

ماذا ستقول لأطفاله ؟

إن والدكم طلبني للزواج في حجرة النوم وشخص ما مستعجل على الباب لايكف عن طرقه؟ سألها "چاك" :

- هل انت منفعلة اكثر من اللازم؟ الا تجدين صوتك؟

فتحت "بيرما" فمها. ولكن صوتها لم يخرج منه. لقد كان ذهنها صفحة بيضاء. ليست لديها كلمات تصف بها العاطفة التي غمرتها سالها:

- ما الذي حدث؟ ارجو الا يغمى عليك..

ان يغمى عليها هو آخر شيء تفكر فيه .. لا. إنها فقط ستفيق من الصدمة وتسيطر على غضبها. عضت لسانها دون أن تحس، وتقلصت يداها. رأى "چاك" التغيير البادي عليها فتراجع للخلف خطوة.

- هل انت غاضبة؟

- انت تعلم تماما انني لاأريد الزواج.

-لقد اعددت خطابا ولكني ..

قالت "بيرما" وهي تحاول دون جدوى أن تخلع الخاتم:

-إنني لا استطيع ان اخلعه.

- كفي عن محاولة نزعه، فإن اصبعك ستتورم.

ردت عليه بحدة:

- نعم. وبعده سياتي دورك لتتورم.

-الا تريدين الزواج بي ؟

-لدي مشروعات.

- وانا كذلك.

عوت "بيرما":

- انا اعرف مشروعك: بيت وزوجة وكلاب واطفال.

- الا يوجد مكان لهذه الأمور ؟

- بلى .. ولكن..

مال "چاك" ليقبلها على طرف انفها، وقال :

- إذن ليست هناك مشكلة .

رددت "بيرما" :

- ليست هناك اي مشكلة ؟! وما دور الحب في هذا ؟

سالها "چاك":

- هل تحبينني؟

ظلت "بيرما" صامتة . لقد اعطته الضوء الأخضر. هل تحبه ؟ نعم .. وبلا تردد. ولوكانت لاتحبه لاكتفت بالابتسام مجاملة، وشكره مع رفض طلبه. ولكن الشابة تحبه وهي غاضبة؛ لانه اجبرها على ان تؤجل كل مشروعاتها، وان تعيد النظر فيها، وجعل كل تلك المشروعات غير مرضية، ولن تغنيها عن الحب .ثم لو كان مجرد رقم في قائمة مشروعات "بيرما" فإن الأطفال ..

- وانت هل تحبني ؟

-انا الذي طرحت عليك السؤال أولا. ولكن على اية حال نعم أحبك .

لقد تعرفت "بيرما" في صوته على اللهجة التي يستخدمها عندما يجد تصرفاتها حمقاء. خاصة عندما يستخدم النبرة العاطفية اكثر من اللازم. وفي ظروف أخرى كان من الممكن أن تعتبر لهجته حنونا وعاطفية . ولكن هنا، في هذا الظرف بالذات كانت لهجته ليست في محلها . إنها لاتريد سوى رومانسية بحتة خالية من التصنع .

تكررت الخبطة على الباب . فتح "چاك" الباب، وقاد "بيرما" إلى الدهليز. تاركا المكان لامراة بيضاء الشعر كانت تريد استخدام

www.rewyna.com

الحمام الملحق بغرفة النوم . ظهرت "إيلينا" ووبختهما :

- ماذا تفعلان؟

أجاب "چاك" وهو يرفع يد "بيرما":

-لقد كنا نجري خطبتنا.

صاحت "إيلينا":

-أوه .. هذا رائع!

صححت "بيرما" المعلومة:

-أوه .. لقد كنا نناقش الأمر فقط . ولا أظن..

صاحت "إيلينا":

- استمعوا جميعاً . إن "چاك" و"بيرما" أعلنا خطبتهما .

اقتربت شابة سمراء جميلة من "بيرما" وصافحتها .

- وأنا "ساندرين"، أخت "چاك" . باللارتياح الذي أحسه عندما أجد "چاك"- أخيرا- وقع صريع الحب! لقد فقدنا الأمل، ويئسنا تماما. هل هذا صحيح؟

كانت "بيرما" لاتريد أن تكون سعيدة. ومن الأفضل أن تقول لـ"ساندرين": إن الأمر غلطة بسيطة، وإنهما لن يتزوجا.. استمرت "ساندرين" :

- لقد حاولنا جميعا أن نجد له خطيبة. ولكنه صعب لدرجة رهيبة . لقد كان يصدنا دائما وهو يقول : إنه سيعرف عندما يجد المرأة التي تناسبه.

أيدها "چاك":

- هذا صحيح .. هذا ما كنت أقوله دائما .

قالت "بيرما" في نفسها : إن هذه نقطة في صالح "چاك". وإنها لم تكن في حياته حدثا عاديا . نظرت إلى الخاتم في أصبعها وأحست بانفعال شديد.

لايجب أن يغمى عليها يوم خطبتها .

www.zahrawyn.com مـــكـــتـــبـــة

الفصل التاسع

أخذت "بيرما" - وهي على عتبة الباب- تراقب سيارة "كليم" و"جيسي" تختفي عند الأفق. همهمت

وداعا يا "جيسي".

سألها "چاك" :

- لماذا أنت حزينة؟ إن "جيسي" و"كليم" سيكونان سعيدين.

هزت "بيرما" كتفيها . إذا كانت تجهل سبب هذا الحزن فإنها، أحست استعدادها للبكاء . لقد رحلت "جيسي" ، و"اليكساندرا" أيضا . إن الأسرة المتبناة بدأت تتفكك.

- أنا حمقاء. أليس كذلك؟!

-نعم.

- على أية حال سأراهما مرة ثانية عند عودتهما من رحلة شهر

العسل، وسيستعيدان وظيفتهما في "صندوق البيتزا" وكأن شيئا لم يكن .

-نعم .

- وستعود "اليكساندرا" الأسبوع القادم.

- نعم.

- وعلى أية حال - أنا مخطوبة.

قال "چاك" معلقا :

-إنك تتحدثين عن ذلك وكأنه موعد عند طبيب الأسنان.

قالت بحذر وهي تواجهه:

-أنا لا أريد أن أغضبك. ولكني لا أحب أن أكون مخطوبة . إن هذا يشوشني.

-ولا تريدين أن يضايقني ذلك؟!

قالت تشكو:

-أنا لم يغمض لي جفن أمس طوال الليل. لقد فكرت في الكلب، والمنزل، وخاتم خطوبتي، وفيك .. لقد كان حلما أصبح حقيقة . إن كل ما اشتهيته وقع على رأسي كالصاعقة.

- إذن، أين هي المشكلة؟

-المشكلة هي أنني كلما نظرت إلى هذا الخاتم، أحس بتقلص مؤلم في معدتي .

سألها "چاك" :

-ربما تكونين مريضة.

- أو ربما يريد جسمي أن يقول لي شيئا.

www.rakmyna.com

قهقه "چاك":

- أنت لست جادة.

- أنت تعتبرني مخبولة .

قال يغيظها :

- لقد خطرت الكلمة ببالي .

صاحت "إيلينا" وهي تهبط الدرج:

- ما الذي جرى لتلك الكلبة ؟ لو أمسكت بها لفرمتها . انظري ما الذي فعلته ؟!

قالت ذلك وهي ترفع شرائح من الجلد.

- إنها كانت حقيبة يدي! ولكن .. ما هذه الرائحة؟

خفض "چاك" عينيه نحو "الموكيت" :

- لقد ارتكبت "كلامتي جين" حادثة فوق " الموكيت".

-لقد طفح الكيل! إنني لن أعيش في منزل به رائحة الكلاب.. إن لدي مشاريع أخرى .

كررت "بيرما" عبارتها وهي مندهشة .

- مشاريع أخرى؟!

قالت "إيلينا":

- إن "ميشا" سياتي لياخذني حالا سنرحل لقضاء أسبوع لزيارة "الخور العظيم". أنا لم أذهب إليه قط. أنا لا أريد أن أتركك بمفردك. ولكن "چاك" وعدني أن يساعدك.

قالت "بيرما":

- هل أنت على علم بهذا الأمر؟

- لقد صارحتني "إيلينا" بذلك هذا الصباح . وكنت أعلم أنك موافقة.

ردت "بيرما" :

- نعم. طبعا . ولكنك كنت تعمل ساعة الغداء، فكيف لي أن أخرج من المازق بمفردي ؟

-إن الرجل الذي سيحل محلي سيحضر يوم الاثنين . لأنني لم يعد لدي عمل .

أخذت "بيرما" تشكو وتصرخ :

- لم يخبرني أحد بشيء ! كيف يمكن أن أكون آخر من يعلم ؟

بدت القسوة على فم "إيلينا":

- كيف تعرفين، وأنفك دائما إما في الكتاب أو في العجين ؟! وعندما لاتكونين هكذا، نجدك في الحمام . إنك تاخذين عددا كبيراً من الحمامات. لابد أن قدميك ظهر بينهما الزرع من ساعتها. همس "چاك":

- إن "الدش" وسيلة مثالية للارتخاء العصبي.

سمع صوت "تفير" سيارة.

-لابد أنه "ميشا". قل له: إنني أعد حقيبة سفري وساحضر.

نهبت "إيلينا" الدرج وهي تصعده: كل درجتين في مرة واحدة. قالت "بيرما":

- إن "إيلينا" راحلة ! افعل شيئا يا "چاك" .

- لقد عرضت عليها أن أساعدها في إعداد حقيبتها. ولكنها -تقريبا- رفضتني.

زمجرت "بيرما" وقد بلغ بها الغيظ مبلغه:

- أنا لا أتحدث عن هذا .. لابد أن نمنعها .

www.tahawyna.com

- لماذا ؟

-لأنه .. هناك العديد من الأسباب . إنهما عجوزان جدا . وقد يحدث لهما شيء في الصحراء. وماذا سيحدث لو نسيت "إيلينا" أدويتها ؟!

جلست "بيرما" على آخر السلم وهي تتساءل: ما السبب الحقيقي؟ هل لأنها خائفة أن تجد نفسها بمفردها مع "چاك" ؟ إن كل شيء يحدث بسرعة رهيبة ..

هبطت "إيلينا" السلم مرة ثانية وقد ارتدت "تاييرا" أزرق خاصا بالرحلات، وقالت لـ"بيرما":

- إلى اللقاء يا صغيرتي "بيرما". إننا سنستمتع كثيرا .

صحبها "چاك" و"بيرما" حتى باب الخروج، حيث ودعاها . علقت "بيرما" عندما رحلا :

-أتمنى أن أكون مثلها، عندما أصبح في مثل سنها .

- وأنا كذلك.

فجأة سمعا صوت تكسر زجاج، ثم أطباق، ثم جرت القطة بين سيقانهما، تتبعها الكلبة في مطاردة مجنونة.

-ولكن ما هذه الرائحة؟

- أي رائحة؟

قالت "بيرما" في دهشة:

- ألا تشم شيئا ؟ ومع ذلك فإنها رائحة لاتطاق.. تذكرني بشقتي.

-مستحيل!

- إنها آتية من القبو.

- حسنا سأذهب إلى هناك.

اندفع "چاك" يهبط الدرج إلى "البدروم". ثم عاد بعد دقيقتين وهو يلهث، وقد بدا عليه مظهر النكد، ثم أغلق الباب خلفه . قال شارحاً:

- لقد لعب الحيوانان لعبة المطاردة داخل المعمل. لم يحدث شيء خطير. مجرد بعض النماذج تكسرت . ولسوء الحظ فإن الرائحة ستستمر عدة أيام.

شدت "بيرما" على فكيها، وخرجت من الغرفة دون أن تقول كلمة واحدة. إن الأمر صعب التفسير. إن الرائحة التي منعتها من الإقامة في شقتها وجدت في قبو منزل "چاك سوبر"! قالت في غضب شديد:

- إذا كان هناك مالا أطيقه في حياتي، فهو مخترع مجنون!

-إن شكلك يصبح محبوبا عندما تغضبين.

أعلنت وهي تغادر المكان وتصفق الباب خلفها:

- سأرحل . وساعود إلى شقتي .

أخذت تردد في نفسها: هذه هي نتيجة الزواج برجل لاتعرفه إلا من وقت قصير. فقد يظهر بعد ذلك أنه غير أمين، ولاوازع من خلق عنده ولا ضمير. رجل مراوغ متآمر، وقد يسخر من المرء ويهزأ به. كان من الواجب على الشابة أن تنصت إلى تحذيرات عقلها .

سارت في الطريق وهي حانقة على كل شيء.

سمعت صوت نفير سيارة جعلها تلتفت للخلف :

-سأقلك إلى الشقة.

صاحت وهي مستمرة في طريقها:

-لا.

سمعت صوت المحرك. ونفد صبرها في الحال .

- لماذا تتبعني؟

قال لها وهو يؤرجح لها سلسلة مفاتيح:

-لقد نسيت مفاتيحك.

احمر وجه "بيرما" خجلا، وحاولت أن تلتقطها. ولكن "چاك" سحبها في الحال.

-لماذا أنت غاضبة لهذه الدرجة ؟

-لقد لعبت علي لعبة!

اعترف قائلا:

-إنها لعبة صغيرة، غير مؤذية . منذ البداية لم تكن رائحة شقتك مزعجة.

- ربما تكون قد كذبت علي على طول الخط، وربما تكون متزوجا بالفعل، وأبا لأطفال.

لاحظت "كلامتي جين" جالسة على كومة من الملابس على المقعد الخلفي.

- ما هذا؟

-ملابسك . وملابسي.

- وماذا تفعل ملابسنا في سيارتك؟

-سأنقلها إلى شقتك. مادام الهواء عندي لايطاق ولايصلح للاستنشاق، فقد فكرت أننا نستطيع أن نعيش عندك بعض الوقت.

- نحن؟ أتقصد أنا وأنت والكلبة؟ هل فقدت عقلك؟

قال وهو يفتح باب السيارة:

-طبعا. نعم جننت .. تعالي!

أخذت "بيرما" منه سلسلة المفاتيح . وجلست وقد أطبقت شفتيها، وعيناها للأمام.

- أنت لن تبقى عندي.

- ولم لا ؟

-لأن هذا الأمر لن يفلح.

أوقف "چاك" السيارة بطول الرصيف أمام "صندوق البيتزا". وأخذ "كلامتي جين" تحت إبطه، والملابس تحت الذراع الأخرى. وقال موجها الكلام للكلبة :

-اترين يا "كلامتي جين". إنها ستتركنا تحت المطر. وأنا الذي أويتها ورعيتها عندما كانت بلا سقف تحتمي به ! هي وتلك السيدات العجائز أيضا.

-لماذا لاتذهب لتعيش مع أختك؟

أجاب "چاك":

- إن لديها حساسية ضد الكلاب.

أغمضت "بيرما" عينيها وتنهدت، ثم استقرت:

-حسنا .. حسنا .. ابق هنا. بشرط واحد، وهو أن تنام في الصالون، وألا توجه لي الحديث.

قال موجها الحديث للكلبة:

-إن لساني سيظل داخل فمي يا "كلامتي جين".

فتحت "بيرما" النوافذ على مصاريعها وهي فريسة موجة لاتحتمل من الحزن . لقد كان المنزل مؤثثا بالنذر اليسير . لقد أهملت بيتها في الآونة الأخيرة . وعليها أن تتحمل الثمن.

لقد كانت إقامتها عند "چاك" بمثابة إجازة، أو نوع من الهروب كانت تحتاج إليه . ولكن كل ذلك انتهى الآن. ويجب أن تعود للواقع.

شردت مع افكارها، وظلت بلا حركة فترة طويلة . هل هذا نتيجة قضاء بضعة أسابيع في الريف ؟ ونتيجة نزوة عاطفية؟ أخذت تحاول خلع الخاتم من أصبعها، بينما انسابت دموعها على خديها . لقد بدأت تنظر إلى الموقف نظرة أكثر أهمية .لابد من أن تتخلص من الخاتم، وأن تستعيد نفسها .

غسلت "بيرما" يديها وهي تحاول- بمساعدة الصابون- خلع الخاتم، ولكنها لم تفلح . سمعت خطوات "چاك" في الشقة فوقها، وأحست بمعدتها تتقلص . إنه يريد -حقا- أن ينتقل ليعيش في شقتها. وأصبحت لاتجد مكانا تفر إليه . قالت متهكمة : إن المستقبل جاء مبكرا. والأسوأ من ذلك أن ثورة غضبها تبخرت، وتحولت إلى خوف يشبه -إلى حد بعيد- الرغبة.

ركزت "بيرما" على خاتمها . الزُّبْد! بحثت في ياس داخل الثلاجة عن الزبد ولكنها لم تجد سوى البيض والزبادي. ثم فتحت دولاب المطبخ، فوجدت زجاجة زيت زيتون. صاحت في فرح. كان "چاك" يراقبها باهتمام، وسألها :

-لماذا الزيت ؟ لماذا تضعين منه على أصبعك؟

وضعت إبهامها وسبابتهاتحت الخاتم المدهون بزيت الزيتون، وضغطت بحركة عنيفة .قفزالخاتم وكانه سدادة زجاجة "شمبانيا" ليستقر على "الموكيت".

- هل هو ضيق جدا؟

- بل سريع جدا . أنا لست مستعدة لهذه الخطوبة. اقترب "چاك" منها، وربت خدها ثم شد إحدى خصلات شعرها الشقراء، وقال :

- بل أنت أكثر استعدادا.

اتسعت عينا "بيرما". وفغرت فمها وهي تصيح:

-"كلامتي جين" أكلت الخاتم .

نظر "چاك" متشككا للكلبة الصغيرة:

-مستحيل !

- "چاك". اقسم لك، إنها ابتلعت الخاتم .

ركع "چاك" بجوار الكلبة، وأخذ يمسح بيده على الموكيت . وقال موجها الحديث للكلبة :

- يا"كلامتي جين". أيتها الكلبة. قولي: إنك لم تبتلعي هذا الخاتم الثمين الغالي وغير القابل للهضم.

سالته "بيرما" وهي تاخذ الكلبة في حذر بين ذراعيها :

- ما الذي سيحدث لها؟ هل ستموت؟

-لنتاكد أولا من أنها ابتلعته .

أخذا يسيران على اربع فوق الموكيت ليفتشاه دون جدوى . قالت "بيرما" عندما استعادت صوتها :

-ربما كان علينا أن ننقلها إلى الطبيب البيطري. استسلم "چاك" وهو يحمل الكلبة بين ذراعيه.

-لاشك أن الحق معك.

- هناك مستوصف بيطري ليس ببعيد عن هنا. وأنا أمر عليه أثناء ذهابي إلى الجامعة. وأعتقد أنه يعمل يوم الأحد .

بعد دقائق فتح "جاك" باب المستوصف. ووجدا نفسيهما في صالة انتظار مضاءة جيدا، وخالية . قال "جاك" معلقا:

-يبدو أنه ليس هناك عمل كثير هنا في الأحد.

قالت موظفة الاستقبال :

- نحن لاناخذ مواعيد يوم الأحد . فقط - الحالات المستعجلة .

- نعتقد أن كلبتنا ابتلعت خاتما ضخما .

داعبت الموظفة "كلامتي" "جين"، وابتسمت قائلة:

- ساخطر الدكتور"برويت". أرجو ملء الاستمارة .

همهمت "بيرما" عندما ذهبت موظفة الاستقبال :

- أتعشم أن يكون الدكتور "برويت" هذا ماهرا. كان من المفروض أن نذهب لإخصائي .

قهقه "جاك" وقال معلقا :

- أو الأفضل أن نذهب إلى جواهرجي . لاتقلقي يا "بيرما" إنها ستنجو منها .

-أعرف ذلك.

-إذن لماذا تبكين؟

-باللصغيرة المسكينة "كلامتي جين". إنها صغيرة جدا. وابتلعت هذا الخاتم الضخم.

سأل "بيرما" وهو يضغط على يدها:

- هل تحبينها كثيرا ؟ ودائما ؟

- نعم .. لماذا يؤدي الحب إلى هذا العذاب ؟

صحح لها "جاك" :

-ليس دائما .. اتعلمين أن "كلامتي جين" سعيدة للغاية أن تكون موضع كل هذا الاهتمام ، لدرجة أنها من المحتمل ألا تحس بالخاتم؟!

-أتظن ذلك؟

-السيد والسيدة "سوبر". تفضلا باتباعي من فضلكما. الدكتور في انتظاركما.

ودت "بيرما" أن تحدد شخصيتها وهويتها لموظفة الاستقبال، ولكنها تراجعت . إن الاسم وقعه لاباس به ! ابتسم لها "جاك" ابتسامة اظهرت كل أسنانه . إنه لايضيع الفرصة ابدا .

كان الدكتور "برويت" رجلا ضئيل الجسم وسمينا، وكان من الواضح أنه يحب الحيوانات بإخلاص.

أخذ يداعب "جين" وهو ياخذ درجة حرارتها. ثم فحص بعد ذلك أسنان الكلبة . قال معلقا :

-إنها في كامل الصحة واللياقة، عدا مسألة ابتلاعها اللآلئ، طبعا. ساقوم بعمل اشعة لها.

عاد بعد عشر دقائق و"كلامتي جين" تحت ذراعه، وقدم لهما صور الأشعة .. وقال بكل فخر وهو يشير باصبعه إلى صور الأشعة:

- ها هو الخاتم .. يبدو أن السيد خطيب الكلبة يده صغيرة.

سألته "بيرما":

- هل لابد من إجراء جراحة لها؟

قال البيطري وهو يلاعب الكلبة :

- لا أعتقد ذلك . إن الخاتم سيخرج من تلقاء نفسه.

وإذا رغبتما، يمكنكما ترك "كلامتي" يومين او ثلاثة لنراقبها .

سالته "بيرما":

- هل ستتصل بنا لو حدثت مشكلة ؟

###

كانت "بيرما" تعد البيتزا بقوة ونشاط، و"چاك" يراقبها بطرف عينه . قال :

-أنت لست ضخمة، ولكنك قوية.

قالت له شارحة:

-بهذه الطريقة أتخلص من إحباطي وتوتري .

-إذن لابد أنك شديدة الإحباط والتوتر. أنت تفعلين ذلك منذ الصباح . أتحبين أن تعرفي كيف أتخلص من إحباطي وتوتري ؟

- لا .

- هل إحباطك من النوع الجسدي؟

-لا.

سالها بصوت رقيق:

- هل يمكن أن تحدثيني عنه ؟

ترددت "بيرما" . ماذا تقول؟ إنها خائفة، وإن معنوياتها في أسفل سافلين؟!

-لا . وشكرا..

-لاأريد أن أفسد ليلتك. ولكن الساعة تجاوزت العاشرة ، ولم يعد أمامنا سوى ثلاثة زبائن. وقد أعددت من الفطائر ما يكفي شهرا كاملاً.

- ما رأيك لو اغلقنا المحل ؟

- العاشرة! بهذه السرعة؟

-يبدو أنك لاتريدين أن تنامي وأنا في البيت .

مسحت "بيرما" يديها في مريلتها، وبدأت في ترتيب المطبخ . قالت له:

-هذا كلام فارغ . لأنني أنام دائما في حجرة منفصلة عنك . سانام في حجرتي. وعليك أن تبحث لنفسك عن مكان تنام فيه.

سالها :

- أين إذن سانام ؟إنك لاتملكين حتى أريكة!

- تصرف!

أحست "بيرما" فجاة بأنها مذنبة . لقد كان لطيفا جدا معها. لماذا تعامله بهذه الطريقة الجافة والخالية من اللياقة؟! كيف وصلت إلى هذا الحد من الجنون؟! أي امرأة لديها ذرة من العقل لايمكن أن تجافي في معاملتها "چاك سوبر". علقت لافتة: "مغلق" في نافذة العرض، ثم أغلقت الباب بالرتاج .لم يبق عندها سوى بطانية ومفرش سرير إضافيين، وهذا يكفي .

وصلا إلى راس السلم، وعلق "چاك":

-إن الرائحة جميلة هنا .. إنها رائحة "البيتزا".

ردت عليه بخشونة:

-هذا طبعا ليس بفضلك. إنك لم تفلح باختراعاتك إلا في إفساد رائحة الشقة حتى أهرب منها إلى بيتك.

رأت مجموعة من الانفعالات تعتمل على وجهه، وندمت في الحال على تعليقها . سالها :

- هل يمكنك أن تعطيني بطانية؟

www.rewayna.com

أخرجت البطانية من دولاب البياضات . وقالت له بصوت مضطرب مرتجف :

-أرجو المعذرة: لأنني لاأستطيع أن أقدم أفضل من هذا.

دارت على عقبيها، قبل أن يتمكن من رؤية الدموع في عيني الشابة. ودخلت حجرتها وهي تحرص على أن تغلقها وراءها .

لأول مرة في حياتها تفهم "بيرما" معنى اصطلاح "مرض الحب" . إن القلق الانفعالي الذي تعانيه في تلك اللحظة كان من الضراوة لدرجة أن آلامها الجسدية كانت تقبض على قلبها . انهارت على سريرها باكية . لماذا يجب أن يكون الحب هكذا معقدا ؟ ومع ذلك تعتبر نفسها امراة شابة متوازنة العواطف، وكريمة وعاطفية...

إنها تطعم الكلاب والقطط الضالة والنساء العجائز. وها هي تنغلق على نفسها فجاة، وتصبح غير قادرة على العطاء، والإخلاص في عطائها. وتصبح مرعوبة من فكرة أن تحب . لقد قرأت على وجه "چاك" العذاب الذي سببته له برفضها له. ذكرها الموقف بـ"كلامتي جين" وهي وحيدة في قفصها عند البيطري .لابد أن الكلبة المسكينة تتساءل: لماذا تتحمل هذا العقاب؟

انطفات الأنوار في الحجرة المجاورة. وظلت "بيرما" ساكنة في سريرها وهي تحاول أن تتماسك . إن "چاك" يحب المخاطرة .. رجل يستمع إلى غريزته. أما بالنسبة لـ"بيرما" فكل شيء صعب . لقد لاقت صعوبة في الحصول على قرض، لأنها بدون خبرة، وليس معها شهادة جامعية، ومسلحة فقط بقناعتها الشخصية، وبنشاط وطاقة متوحشة.

خلعت "بيرما" حذاءها، وتذكرت كل التجارب والمحن التي تغلبت

عليها. واليوم فإن أعمالها تسير سيرا حسنا . لقد اتخذت قرارا بان تصارع حتى تفوز. وها هو الأمر انتهى بأن نجحت .

تساءلت فجاة: أين ذهبت شجاعتها وجسارتها؟! وكيف تستطيع -وهي سيدة أعمال كاملة- أن تخاف هكذا من ركوب المخاطر؟! فتحت "بيرما" إذن باب الغرفة في رقة وهدوء، وذهبت لتطمئن على "چاك" الذي كان ينام نوما عميقا على الأرض، وقد أضاء وجهه السعيد شعاع فضي من القمر .

تساءلت : هل هكذا تعامل الرجل الذي تحبه؟

نزعت من فوق سريرها الغطاء، وغطت به "چاك" دون أن توقظه.

ستنهض في اليوم التالي مبكرة لتعد له طعام الإفطار . ثم بعد ذلك ستحدثه . إنها لم تستطع أن تفعل ذلك سابقا، ولكنها فهمت لتوها أن خوفها من الفشل جعلها تتصرف بجبن وخوف.

عادت "بيرما" إلى حجرتها، وتذكرت انه ليس من طباعها أن تكون جبانة .

ابتداء من الغد يجب عليها أن تتخلص من هذه الحكاية، وتحدث "چاك".

الفصل العاشر

استيقظت "بيرما" على رائحة شهية لعجة بالبيض والزبد. القت نظرة على المنبه.

هناك من يقوم بإعداد الإفطار في الساعة الخامسة صباحا! مررت أصابعها في شعرها، وارتدت الروب الليلي قبل الذهاب إلى المطبخ.

حياها "چاك" وهو يقلب قرص البيض في الهواء.

سالته في دهشة:

-ماذا تفعل؟!

-أعد الإفطار. أعرف جيدا أن الرائحة توقظك.

-إنها ليست سوى الخامسة صباحا. الم تستطع أن تستيقظ في السابعة؟

-يبدو أنك نسيت في أي الأيام نحن. إنه ليس يوما مثل بقية الأيام.

أجابته دون أن تفهم:

-طبعا. بالتاكيد.

عم كان يتحدث؟ عن عيد ميلادها؟ أم عيد الملوك؟

صب "چاك" القهوة لـ"بيرما"، ووضع أمامها قطعة عجة وخبزا محمرا وعصير برتقال. وقال:

-يبدو لي أن عليك أن تؤدي امتحان تاريخ الفن اليوم.

- امتحان!

-أعرف أنك تدرسين طوال الأسبوع. وأن عطلة نهاية الأسبوع كانت قاسية وشاقة عليك؛ ولذلك فكرت أنك تريدين أن تعملي بجد ومشقة هذا الصباح قبل أن تقدمي نفسك للامتحان. وضع كتاب "بيرما" أمامها.

لقد أيقظها إذن ليجعلها تذاكر وتراجع قبل الامتحان. وجدت "بيرما" نفسها مرة ثانية تذوب حبا. رجل يساعدها للوصول إلى هدفها، ويشجعها على النجاح فكرت أنه لهذا السبب لابد أن يكون زواجهما ناجحا. إنه سيبذل كل جهده من أجلها. رفع حاجبيه في دهشة.

-إن على وجهك تعبيرا غريبا جدا. هل أنت بخير؟

- إنني أحس بانني في منتهى الروعة. ساتناول هذا الغذاء اللذيذ، وساذاكر كمن مسه جنون حتى الساعة الثانيةبعد الظهر، ثم بعد ذلك عندما أعود من الامتحان..

-إذا لم أكن مخطئا فيجب عليك دراسة الاقتصاد. لقد كان "چاك" على حق لامحالة. لقد كان امتحان الاقتصاد في صباح اليوم التالي. لحسن الحظ أنها مقيدة في مادتين هذا الفصل الدراسي.

هل تستطيع أن تصبر حتى يوم الأربعاء لتشكره بطريقتها الخاصة؟

في الساعة العاشرة تلقيا مكالمة تليفونية من الدكتور "برويت". قال لها "چاك":

-لدي خبر طيب. إن الخاتم في أمعاء "كلامتي جين" الغليظة. ولم يبق أمامنا وقت طويل ننتظره.

انطلقت "بيرما" في ضحكة عالية مجنونة . إن كل شيء يسير على ما يرام . ربما حصلت هي أيضا على درجة جيدة في الامتحان سألها "چاك" ضاحكا :

- من كان يصدق من شهرين! أنني سأقلق على كلبة ؟

طمأنته "بيرما" :

-إنها ستشفى .

- إن شيئا غريبا يحدث هنا . عادة أنا الذي أقوم بطمأنتك.

شرحت له "بيرما":

-ذلك لأنني أحس بأنني في حالة ممتازة. إنك لن تستطيع أن تفهم . إن كل الناس لايمكن أن يكونوا ناجحين في "البيتزا" .

قال "چاك" يعاكسها :

- هذا إذن ما ترغبينه: أن تكوني ناجحة في "البيتزا". أليس كذلك؟

أجابته "بيرما" وهي تدس أنفها مرة أخرى في كتبها :

- نعم ليس كذلك. إن "البيتزا" لاتهمني كثيرا . إن ما يهمني هو النجاح. تأملها "چاك" لحظات، ثم قال:

-إن "البيتزا" لاتهمني أنا الآخر كثيرا،ومع ذلك أنا أذهب إلى "صندوق البيتزا"، وأعمل إلى حد الإنهاك .. فهل تعرفين السبب ؟

-لا.. لماذا؟

أجاب وقد لمعت عيناه :

-لأنه هو الثمن الذي لابد أن أدفعه حتى أتخلص من ثلاث سيدات يرافقنك ويمنعنني من أن أراك وحدك . وكل هذا بهدف واحد هو ..

طار كتاب تاريخ الفن ليصطدم بالجدار في صوت مرتفع. ولكن "چاك" استطاع أن يتفاداه. لقد كان الآن في طريقه إلى "صندوق البيتزا".

###

دفعت "بيرما" باب المطعم لتنضم إلى "چاك" خلف مائدة التسليم

والحساب. قالت له :

- لو رأيت أي صورة للفن القوطي فسأسقط من طولي، ولن أنهض بعدها أبدا .

مسح "چاك" يديه في مريلته وسألها :

- هل كان الامتحان صعبا ؟

- لم أعد أذكر عنه شيئا، فقد أصبح مخي مثل علبة"الكومبوت". إنني لم أعد قادرة على رفع قلمي .

شعر نحوها بالعطف وهو يقول:

-ياللمسكينة "بيرما" ! لحسن الحظ لم يكن أمامك سوى امتحان واحد تؤدينه .

- نعم. لحسن الحظ.

رأت شيئا يتحرك في ركن المطعم، فصاحت :

-"كلامتي جين"!

جاءت الكلبة لملاقاتها، وقفزت "بيرما" في الهواء مع الكلبة التي كانت تهز ذيلها من السعادة .

قالت "بيرما" في حنان :

-إنها تعرفني .. يالها من ذكية!

أخذت "بيرما" تربت الكلبة، بينما كان "چاك" يزفر:

-تعالي. لقد أعددت لك ما تأكلينه، وبعده تصعدين لتذاكري من أجل الغد.

-فكرة طيبة. إنني أشعر بالجوع الشديد .

سألها :

-لم يعد إذن عندك مغص؟

-لا.. انتهى .. لم يسبق أن أحسست بمثل هذه الصحة من قبل.

- أوه..

تساءلت: ماذا حدث له الآن؟ إنه يبدو وكأنه يعاني مزاجاً عكراً.

التهمت آخر قطعة من "الهامبورجر" ونهضت قائلة:

-لقد كان رائعا. الآن سأذهب لأعمل.

انحنى "چاك" على العجينة الخاصة بـ"البيتزا" وفردها بالنشابة. فكرت "بيرما": إنها لم يسبق لها أن رأته في هذه الحالة من التوتر. هل بدأ يحس بأنه ينهار تحت ثقل مسؤولياته؟

ربما فكر في مسؤولية تربية كلب؟ لا... اللعنة! إنها كانت قد بدأت تتعود على الفكرة .. فكرة الزواج والكلاب والأطفال. عليها أن تعمل على إخراجه من هذه الحالة. يجب أن تكون معه فريقا متحدا من الآن فصاعدا.

وجهت له أحلى ابتسامة عندها، وغادرت المكان. بعد عدة ساعات أزعجت "بيرما" -وسط دراستها- بسماع ضجةمكتومة لقدمي "چاك" على الدرج وهو يقول- واضعا "كلامتي جين" في سلتها:

-إنني لم أكن أظن أنني سأتوصل إليها. إن هذه الكلبة ترفض أن تظل هادئة.

أغلقت "بيرما" كتابها ونهضت. إنه لايزال عكر المزاج. قالت في نفسها: إنني لايمكن أن أتحمل هذا، فهو على أية حال مر بيوم صعب. لقد نهض في الخامسة صباحا ليعد لي الإفطار، وعمل طوال إحدى عشرة ساعة في إعداد "البيتزا". وفوق ذلك يقوم برعاية "كلامتي جين".

إنه يستطيع من الآن أن يستريح. إن "بيرما" ستعتني بـ"كلامتي جين". إنها تريد أن تثبت له أنها تستطيع رعاية قطيع من الكلاب لو لزم الأمر. أخذت الشابة"كلامتي جين" من بين ذراعي "چاك"، وقبلتها في رأسها، وسألته:

- هل أكلت؟

- لقد التهمت فطيرة "بيتزا" كاملة في الساعة السابعة.

سألته في قلق:

- وهل هذا مسموح لها بعد "ريچيم" مدة أسبوع.

ردأ عليها اكتفى "چاك" بالنظر إليها نظرة غيظ سوداء.

- لقد تركتها حرة في المطعم، وانتهزت هي الفرصة لتأكل "البيتزا" الخاصة باحد الزبائن أثناء وجوده في دورة المياه .. بل إنها أكلت المنشفة.

- هل أكلت شيئا آخر؟ كيف حال معدتها؟

-لاباس. وكيف أنت؟

من الواضح أنه لايريد الحديث عن "كلامتي جين".

- أنا بخير.

زمجر "چاك" وهو يغوص في المقعد ذي المساند ومعه جريدته:

ما الذي يعنيه بهذه الزمجرة؟ كيف يمكن أن تناقش شخصا يقول "هم هم" قبل أن يغوص في مقعد وينهمك في جريدته؟

زمجر "چاك" بنفس الهمهمة عندما رآها تبتسم:

سألته:

- ماذا تعني هذه الـ"هم هم"من فضلك؟

قاطعها:

- لا شيء. ببساطة أنا سعيد لأنني أراك سعيدة.

-آه .. حسنا.

من الأفضل ألا توجه إليه الكلام في اللحظة الراهنة. إن المسكين منهك. قررت "بيرما" أن ترتدي قميص النوم المصنوع من الحرير الطبيعي حتى يستيقظ ويفيق إلى نفسه. تثاءبت.

- إنني مرهقة للغاية. إنها ساعة النوم.

لاشيء سوى الصمت.

- ألست متعبا؟ ألا تريد أن تنام؟

-إنني- ببساطة- أريد الانتهاء من قراءة جريدتي .

فكرت "بيرما" أن هذا أحسن؛ لأنه يعطيها الوقت لتستعد . وتأخذ حماما.

بعد الدش تعطرت "بيرما" بعطر خفيف، وارتدت قميص النوم، ثم نظرت لصورتها في المرآة . رائعة ! ومذهلة ! وقاتلة !

قالت في نفسها وهي تفتح الباب الذي يوصل الصالون بحجرة "چاك":

- هيا بنا ولاداعي للتردد.

عندما تعودت على الظلام الذي ساد الحجرة . بعد خروجها منها، اكتشفت - وهي لاتصدق عينيها- جسد "چاك" الذي بدا بلاحركة لـ"چاك". لقد كان ممددا على الأرضية . إنه نائم ! ياللمسكين! لقد انهار تقريبا من التعب . لم يعد أمام "بيرما" سوى شيء واحد تفعله : أن تعود إلى الحمام، وترتدي بيجامتها من صوف "الفانلا" .

أخذت تسب وتلعن وهي تتمدد فوق سريرها بعد دقائق . "ياللرجال الملعونين!"

إنها لاتستطيع أن تعرف ماذا تتوقعه منهم. عندما ترضى في النهاية أن يغازلها إذا به ينام ! أطفأت المصباح، وضبطت المنبه الموضوع على "الكومودينو" . أخذت تنظر إلى انعكاس كشافات السيارات المارة في الشارع وهي تقضم أظافرها . تنهدت وهي تقول :

-إنني لن أحصل على النوم أبدا !

حاولت الشابة أن تسترخي .بدأت بمد ساقيها، ثم قدميها، ثم كعبيها وهي تحاول الاسترخاء. إن هذا الذي تفعله لن يفلح .لابد أن تفكر في شيء آخر . في "إيلينا" و"ميشا"، وفي "كلامتي جين"، وفي "چاك سوبر". كيف يمكن أن تنام وهي تفكر فيه إلى هذه الدرجة؟

سمعت ضجة آتية من الصالون، ثم صوت "چاك" .

- ما هذا الذي حدث؟ أوه ! لا!

صاحت "بيرما" من حجرتها :

- هل هي "كلامتي جين"؟

- نعم.. إنه لأمر مقزز . لماذا تمرض دائما في الليل وأنا نائم؟

ياللخسارة ! لابد أن ينهض "چاك" ويأخذ حماما ويبحث عن مكان آخر لينام فيه .

صفق "چاك" باب الحمام بعنف وهو يوالي سبابه، ثم ظهر بعد فترة وقد لف جسده في بشكير حمام ضخم، وأعلن :

- إنني في حاجة إلى بطانية أخرى.

- هذا بالذات .. لم يعد لي منها سوى هذه البطانية إن كل الأغطية هناك في بيتك.

-إنني لا أستطيع أن أنام هناك . إن الجو بارد والأرض قاسية .

كم هو لطيف في غضبه! سألها :

- وماذا بعد ؟

-إذن ماذا ترى؟

- ألا تقولي لي أن أنام معك في الحجرة ثم الذنب ذنبك، لأنها كلبتك هي التي عملت عملتها .

- أين هي؟

أجاب :

-لقد تركتها في الصالون .

- إيه..

- هل هذا كل ما ستقولينه ؟

- حسنا انت على حق يمكنك النوم على الأريكة، وعلى كل حال إنها الكلبة هي السبب، ولا يمكنك أن تنام في أي مكان آخر .

أخذت تتوسل لقلبها أن يكف عن الخفقان الشديد . استلقى "چاك"

على الأريكة ووجهه ناحيتها .

-اسمعي يا "بيرما" .. أوه .. لا شيء.

بعد ذلك استدار، وأعطاها ظهره . ها هي "بيرما" في نفس الحجرة مع الرجل الذي تحبه. ولكنه يعطيها ظهره . إنه أمر مهين. أخذت تتقلب في فراشها .

- ماذا حدث لك يا "بيرما" . إنك لاتكفين عن التقلب . ماذا. إنك ترقصين؟ رقصة "البولكا"؟

أجابته :

-إنني لا أستطيع أن أنام . ليس من عاداتي أن يكون معي رجل في حجرة واحدة.

-أتمزحين ؟!

انتصبت "بيرما" جالسة وسط الفراش، وقالت :

- ماذا تعني بهذا القول؟

-يعني أنني مدرك لرغبتك في أن تنامي بمفردك.

نهض وأخذ الوسادة من جوارها، ثم عاد إلى الأريكة، حيث تمدد ووضع الوسادة على رأسه حتى يستطيع النوم .

-"چاك سوير" . أعد إلي وسادتي !

رد عليها دون أي اكتراث:

-لقد أصبحت ملكي من الآن.

احتجت قائلة :

-إنها ملكي !

-لا.. أنا أكبر وأضخم منك، ومع ذلك سنقتسمها.

-كيف؟!

-ساستخدمها ساعة، وأنت ساعة.

-"چاك"!

-نعم.

- موافقة. وتصبح على خير .

- وأنت من أهله.

أحست فجأة بأنها تحبه حبا شديدا . إنها تحب ذلك الرجل الذي يتحمس من أجل رعايتها وتلبية كل طلباتها، ومن أجل الطريقة التي استقبل بها السيدات العجائز الثلاث أيضا . إنه يعرف كيف يرفع من روحها المعنوية . وكيف يجعلها تتخلى عن عنادها لمجرد نظرة حب في عينيه.

قالت له هامسة :

-لابد أن أقول لك كلمتين أنا أيضا .

ظل صامتا، فاستأنفت:

-أولا : لابد أن أعترف لك بحبي الشديد لك . وثانيا : أنا أحب الكلاب والأطفال.

عضت "بيرما" لسانها ، لقد أفلتت الكلمات من فمها رغما عنها.

www.zahawyna.com

الفصل الحادي عشر

اجتاح "بيرما" إحساس بأن سعادتها في مفترق الطرق. وأخذت تتأوه . تخيلت مدى الرفاهية عندما تفتح عينيها على وجه رجل جميل، خاصة أن هذا الرجل هو الذي سيصبح زوجها، وأنها تحبه، وأنه سيصبح أبا لأطفالها . هذا -على الأقل- ما تصورته، وإن لم يحدثها- من الصباح إلى المساء - في هذا الأمر رغم أنه فاتحها فيه وألح عليها، وهي ترفض. ولكن الشك بدأ ينتابها خاصة عندما لم يرد إليها الخاتم.

أخذت الشابة تتطلع إليه وهي تسمع ضربات قلبه وسط السكون وانتظام أنفاسه.

إنه نائم نوما عميقا . لحسن حظها إنها تثق به، وهي لاتشك أبدا أنه سيتراجع. سمعت صوت إغلاق باب سيارة في الشارع.

إنها "إيلينا" . خرجت "بيرما" من الفراش، واقتربت من النافذة. سألتها "إيلينا" عندما لمحتها في مكانها :

-ماذا تفعلين هنا ؟ لماذا لست عند "چاك"؟

-إنها قصة طويلة، يطول شرحها . وأنت؟ لماذا لست في طريقك إلى "الخور العظيم"؟

قالت "إيلينا"- وهي تشير إلى السيارة التي اختفت عند المنحنى-:

- إنه يقود السيارة كالسلحفاة . ثم إنني لا أحب الطريقة التي يتمخط بها ! إنه يشبه "كلاكس" السيارة عندما يفعل ذلك.

أخرجت العجوز مفتاحها وهي تكمل حديثها :

-أنا سعيدة لأنني عدت للمنزل وساعد لنفسي قدحا ممتازا من الشاي.

قال "چاك" .. وهو ينتفض جالسا فوق الأريكة:

- لقد حلمت بكابوس خانق لقد حلمت أن "إيلينا" عادت، وأنها ستصنع لنفسها قدحا من الشاي .

صححت له "بيرما" معلوماته:

-إنك لاتحلم، وليس هذا كابوسا . إن "ميشا" يتمخط كثيرا، ولذلك تركته "إيلينا" لحال سبيله .سأذهب لإعداد القهوة.

زمجرت "إيلينا" عندما ظهرت "بيرما" في المطبخ :

-آه من الرجال .لاتخرجي أبدا مع عجوز. إن العجائز لايجلبون سوى المتاعب .

-ولكني كنت أظن أنكما متفاهمان تماما...

-نعم . ولكن لايمكن معرفة الرجل، إلا بعد تناول الإفطار .

زفرت "بيرما" في سعادة وهي تتناول قهوتها :

-إن "چاك" رائع على طعام الإفطار.

-نعم. إنه سيفسدك بتدليله لك.

وصل لأسماعهما أصوات في الشارع.

نظرت "بيرما" إلى "إيلينا"، وتبادلتا الدهشة، ثم رفعتا حواجبهما

دهشة عندما سمعا صوت باب الدخول ينفتح. زمجرت "إيلينا":

-أرجو ألا يكون هذا "ميشا" ! إنني لاأريد أن أراه أبدا .

صاحت "بيرما":

-إنه ليس "ميشا". إنهما "جيسي" و"كليم"، ومعهما أيضا "اليكساندرا"!

قالت "اليكساندرا" وهي تخلع معطفها شارحة:

- لقد أصبت بالمرض، وظننت أنني سأموت . إنني لاأتناول -أبدا- المحار، ولكن منظم الرحلة أظهر أنه "كريم" . لقد استضافني، ثم أرسلونا إلى هنا. لقد حاولت الاتصال بكم لأخبركم، ولكني لم أحصل قط على رد.

ابتسمت "جيسي" .

- ثم اتصلت بنا . قص عليهم يا "هنري"! . لحسن الحظ أننا كنا قد عدنا من رحلة شهر العسل من ساعة.

قالت "اليكساندرا":

-قبل أن أصاب بالمرض . لقد قابلت رجلا- في الحقيقة- غير عادي. إنه يسكن على بعد خطوتين من هنا . أتدركون هذا ؟

قالت "إيلينا":

- ربما كان له رفقاء. فإنني أبحث عن رفيق جديد لي.

أخذ "كليم" فطيرة "بريوش" . ثم قال :

- إن "بيكي بتروسكي" سيسعد بهذا الخبر . لقد شاهدك في حفلتنا. واعتبرك مذهلة.

قالت "إيلينا" بحماس :

-أوه! نعم. إنه وسيم.

نظرت "بيرما" إلى ساعتها، ثم ابتلعت قهوتها .

- أنا آسفة لأنني مضطرة لتركك؛ لأنه لابد لي من الذهاب لأداء

امتحان الاقتصاد.

قال "جاك" وهو يأخذ مفاتيحه:

- سأوصلك إلى هناك.

مرت الرحلة من البيت إلى الجامعة في صمت مريب. كانت "بيرما" تفكر في الخاتم . هل لازالت مخطوبة ؟

كانت تخشى أن تسأل . ماذا ستفعل لو قال : لا؟

حسنا.. إنها ستتعود على الوضع . من الواضح أنه سعيد بالحياة معها، وربما تتوقف علاقتهما عند هذا الحد. ربما استطاعت أن تنساه بمرور الوقت . هل ممكن أن ينسى الإنسان شخصا يحبه بجنون ؟! ربما يطلب منها الزواج نعم. إن "بيرما" تريد أن تشارك هذا الرجل كل شيء . وسيصبح من المؤلم أن تنتظر ..

أوقف "جاك" السيارة أمام الجامعة ولكنه ترك المحرك دائرا . ظل ينظر إلى عجلة القيادة في ثبات .

- يجب أن أقول لك شيئا يا"بيرما" .. أنت شاحبة كالشمع.

-إنه الامتحان . وأخشى أن أفقده.

- ربما من الأفضل أن نؤجل الحديث لما بعد هذا.

-آه .. نعم .. فيما بعد أفضل !

###

خرجت "بيرما" من قاعة الامتحان في حالة من الغبطة . لقد أنهت الامتحان، ومر الأسبوعان بلا صعوبة تذكر . لو استمرت على هذا المنوال لانتهت بسرعة من الامتحانات . أحست بيد تمنعها من السير . كان "جاك"، الذي سألها:

- لماذا أنت متعجلة إلى هذا الحد ؟

- لقد انتهيت من الامتحان ونجحت .

قال :

- الحمد لله. انا سعيد جدا من أجلك.

سالته بحرص:

-هل يجب أن نستعيد حديثنا؟

أجاب وهو يضع يديه في جيبيه:

-اعتقد ذلك . لدي خبران اقولهما لك، احدهما طيب والآخر سيئ. ساخبرك بهما في البيت .

هزت راسها موافقة، وتبعته حتى السيارة. سالته في دهشة وهي ترى سيارة "فيراري" حمراء:

- ولكن اين هي؟

- هذا هو الخبر السعيد .لقد اشتريت سيارة جديدة.

غاصت "بيرما" في المقعد الأمامي وهي مفتونة بجمال تلك السيارة الصاروخية التي تصلح لـ"جيمس بوند". إنها بالطبع ليست سيارة عائلية . ربما يكون "چاك" إشتراها بنقود الخاتم. قالت -وقد شعرت فجاة بالرعب-:

- هيا بنا لنعود بسرعة . أريد أن أسمع الخبر السيئ.

- أوه .. إنه ليس مخيفا إلى هذا الحد .. إنه مجرد خبر مزعج بعض الشيء .. الا تحبين هذه السيارة؟

-كيف يمكن أن افعل ذلك؟

أوقف "چاك" سيارته أمام منزله، وفتح بابها لها:

- الخبر السيئ هو ان البيت لايزال برائحته الكريهة.

- هل هذا كل ما هناك؟

لم تدر "بيرما" إن كانت تضحك ام تبكي.

-أعرف ياعزيزتي انك غاضبة مني بسبب تلك الرائحة . ولكني كنت أحس بخوف شديد من ان ترحلي لقد كنت عاشقا لك جدا، لدرجة فقدت معها القدرة على التفكير .لم افكر إلا في شيء واحد: ان اظل بالقرب

منك . لقد حولت هذا البيت الكبير الخالي إلى دار عائلية دافئة . وكل مرة أراك فيها، اشم رائحة الحلوى والفطائر، واحس بالأطفال يجرون فيها فوق الدرج . ولذلك نفذت مشروعي ليل نهار.لم اكن ارغب إلا في شيء واحد : أنت.

لقد كان من الحمق أن اذهب لشراء "كلامتي جين". ولكنها كانت تمثل لي رمزا . لقد اردت أن اتاكد أن كل شيء سيسير على خير ما يرام وانك ستكونين جزءا من حياتي للأبد. ولكني افسدت كل شيء . كل شيء !

استدار نحو "بيرما"، وامسك بيدها وقال :

-"بيرما". انا احبك اكثر من اي شيء . اكثر من حياتي . كنت اعلم انك تشعرين بالالم وانت تلبسين خاتمي . ولكن...

- ولكن ماذا؟

-انا مستعد للانتظار إذا لزم الأمر . يمكننا ان نعيش معا لحظة . ولن اجبرك . لسنا مضطرين لإنجاب أطفال في الحال . ويمكننا شراء كلب آخر ..

عندما رأى تعبير الرعب على وجه الشابة قال:

- حسنا .. حسنا .. ولاحتى كلب .لاداعي لشرائه !

لقد لاحظت أنك عندما لم ترتدي خاتمي، فإنك تشعرين بانك في خير حال. وهذا كان يؤلمني، ويضعني في حالة يرثى لها .

تحول خوف "بيرما" إلى ضحكة صافية وعالية. كان من المستحيل عليها ان تكتمها . عندما نظرت إلى "چاك" رأت خليطا من الدهشة والحب . قالت :

- كم كنت غبية ! لدي اشياء كثيرة أريد أن اصارحك بها، ولكني - اريد- فقط الآن- ان اعلن لك بكل قوة : إنني احبك. هنا: في هذه السيارة الفخمة .

انفجر "چاك" ضاحكا.

###

خرجا من السيارة، وابتعدا عنها فوق النجيل وهي فريسة للضحك المجنون. قال لها :

-إنني لاأريد أن أذهب إلى المنزل الآن.

-لماذا؟

- حتى لاأجد قطيعا من النساء الثلاث ورفقائهن. ثم إنني أريد أن أخبرك بالنبأ السار ونحن بمفردنا : لقد بعت حق استغلال اختراعي لبرنامج كمبيوتر كنت قد أعددته لابن أختي. والشهر القادم سيظهر برنامج الكمبيوتر: "حماقات چاك". إننا أثرياء بعض الشيء، ويمكننا أن ننام الآن في المكان الذي يعجبنا هذا المساء .. في أي مكان..

عبر لها عن كل حبه وحنانه وقال :

-أريد أن يكون كل شيء كاملاً ورائعا بالنسبة لك. إذا أردت الانتهاء من دارستك، وأن تصبحي ناجحة في "البيتزا" أو حتى ملكة "البيتزا". حسنا .. فإنني ساساعدك في ذلك، ولكني أريد أن أدللك وأفسدك قليلا!

لم تلاحظ "چاك" وهو يضع شيئا لامعاً في أصبعها، وعندما انتهى صاحت :

- خاتمي!

-"بيرما كودسن". أعدك أن أحبك إلى الأبد.

- إلا أن يفرقنا الموت. مهما أمطرت، السماء أو هبت الرياح، أو سقطت الثلوج...

تمت